الملخص

شعور باتريسيا بالمر بالامتنان للسيدة دودج، لتخصيصها مبلغاً ضخماً من إرثها لها، دفعها للتفكير بالتفتيش عن ابن أخيها دايفد دودج الذي قبل إنه يبحث عن الذهب في أدغال أميركا الجنوبية.

هناك تعرفت، وبطريقة وحشية، إلى خوليو دي لاكروزا، صاحب مزارع قصب السكر، البعيد عن التمدن. ولم تكن تتوقع أن تلاقي منه هذه المعاملة البدائية.

إنها ليست معتادة على تلقي الغزل من رجل لا تعرفه.. فكيف في أن تُجبر على الزواج منه؟

هل هي في حلم أم كابوس؟

وهل ترغب حقاً في أن تهرب من هذا الكابوس؟

ناتالي

روايات وقصص عاطفية

حب في الادغال

رومانسيات

NATALIE ROMANCE

www.rewity.com

بلا عنوان

الفصل الأول

- أرجوك المعذرة.. أتساءل فيما لو كنت ترغبين في إسداء معروف لي...

وانفرجت شفتا باتريسيا بالمر بشهقة مخفية، واشتدت قبضتاها على قضيب سياج المركب إلى أن أصبحت أصابعها بيضاء.

وتابعت تحديقها في المياه البنية الموحلة للنهر، وهي تأمل دون جدوى أن تكون الملاحظة هذه قد وجهت إلى شخص آخر، أي شخص كان. ولكن كانت تعلم في نفس الوقت أن هذا غير ممكن. إذ لم يكن هناك أي أميركي غيرها على متن المركب، ما عدا الفتاة الشقراء التي صعدت إليه في سانتافيه..

وأخذ تفكيرها يعمل: لقد سافرت آلاف الكيلومترات حول العالم أسعى وراء الهدوء والسكينة، ولكي أهرب من طلبات كهذه.. ومع ذلك... هاهنا.. وحتى هنا...

وتابع الصوت مصراً

- إعذريني..

واستدارت باتريسيا دون ابتسام:

ـ نعم؟

ـ كنت أتساءل...

وابتسمت الفتاة الأخرى وهي تبحث في حقيبة الكتف التي تحملها، ثم تخرج مغلفاً وتتابع:

ـ هل يمكنك إيصال هذه الرسالة عني إلى الفندق في سانتياغو ديلاستيرو؟

في الظاهر، بدا الطلب لا ضرر منه. ولكن اهتمام باتريسيا تحرك على كل الأحوال، وخاصة أن الراكبة الجديدة في المركب، والتي عرفت اسمها من سجل الركاب «جولي باترسون»، كانت قد بقيت متباعدة بالكاد تحدثها أو توجه لها أي إشارة حتى الآن. وقالت لها:

ـ ولمَ لا توصلينها بنفسك؟ سنصل إلى سانتياغو ديلاستيرو بعد الغد؟

وأجابتها الفتاة باختصار:

ـ لن أصل إلى هناك. سأنزل في المحطة التالية، وسآخذ المركب العائد إلى سانتافيه. فلقد اكتفيت من الأرجنتين وغاباتها العظيمة والسفر في النهر حتى أذني.

وأشارت الفتاة إلى ما حولها وهي تضحك

ـ أعني.. هل شاهدت مثل وسائل الراحة من الدرجة الأولى هذه في هذا.. الشيء؟

ـ أجل.. وفي الواقع أنا أستخدم جزءاً من وسائل الراحة هذه.

وهزت جولي رأسها:

ـ حسناً وأنا كذلك.. ولكن هذا لا يعني أنني يجب أن أحبها.. فهذه الرحلة كانت كارثة بالنسبة لي منذ اليوم الأول.. ولم أكن أظن أنها ستكون هكذا، بدائية ورهيبة.. وسأغادر المركب الآن، وأنا لا أزال قادرة.

ونظرت إليها باتريسيا بدهشة ممزوجة بالتسلية، وكان عليها أن تعترف أن الفتاة تبدو في غير محيطها في المركب البسيط هذا. أنها تتفصد بالبريق المرتفع المقام الذي يمكن للمال فقط أن يوفره؛ من الشعر المسرح بإسراف على شكل عُرف الديك إلى الثياب الأنيقة و «الصندال» الفخم. وكانت باتريسيا قد تساءلت أكثر من مرة، منذ شاهدتها، لماذا انجذبت مثل هذه الفتاة إلى مثل هذه الرحلة في المقام الأول، بينما في إمكانها أن تكون في محيطها الملائم أكثر، في مونت كارلو أو الريفيرا أو في أي منتجع فخم آخر في أوروبا.

لذا لم تندهش لمعرفتها بأن أربعة أيام من السفر فوق ماء موحلة، والأغتسال بها من «سطل» تعبئة من النهر بنفسها هو أمر كثير على جولي، هذا إذا لم تذكر تلك الفجوة المحاطة بستارة والتي تقوم مقام الحمام، والوجبات التي لا تتبدل من الرز والفاصوليا السوداء، المضاف إليها السمك، وأحياناً اللحم المقدد إذا وجدوه في أحد المحطات..

وقالت بخفة:

ـ يبدو كلامك خطيراً.. هل لديك معلومات سرية بأن المركب سيغرق؟

ـ اوه.. لا. ربما أسأت تفسير الأمر.. فما أعنيه.. هو إنني لا أريد المضي في الرحلة في هذا النهر أكثر من هذا. وإلا فسوف أتأخر عن رحلة العودة إلى وطني. لذا.. لو تكوني لطيفة معي...

وأخذت باتريسيا الرسالة، جاهدة أن تخفي ممانعتها. لقد كانت شريرة، ولكنها كانت سئمة من صنع المعروف مع الناس. وستنزل في سانتياغو ديلاستيرو على كل الأحوال، ولن تنزعج من إيصال الرسالة، ولكنها في نفس الوقت كانت تحس بقلق لا تفسير له.

ونظرت إلى الكتابة على الرسالة قبل أن تضعها في حقيبتها وكانت

تقول «سنيور خ. دي لاكروزا» ودون عنوان، ولا حتى أسم الفندق، مع إنها تشك في أن يكون في تلك البلدة أكثر من فندق واحد. وابتسمت جولي متوترة:

ـ لقد اتفقت على لقاء أصدقاء... وأعتقد من الأفضل أن أترك لهم رسالة أفسر فيها سبب عدم قدومي.

هذا منتهى عدم الأحتشام، وخاصة أنها عرفت أن الأصدقاء ما هم سوى رجل واحد وليس مجموعة. ولكن ماذا دهاها؟ هذا حقاً ليس من شأنها. وسألتها:

ـ إذن.. ما علي سوى ترك الرسالة في قسم الأستعلامات ليأخذها صاحبها؟

وهزت الأخرى رأسها بلهفة:

ـ إذا كنت لا تمانعي.. ولن أقدر على شكرك كفاية.

وردت باتريسيا بتهذيب أكثر من حقيقته:

ـ لا بأس.

وابتسمت جولي إبتسامة حارة مشرقة قبل أن تستدير وتذهب، وأكعاب حذائها تلتوي فوق سطح المركب غير المستوي.

وعادت باتريسيا لمراقبة المناظر التي تمر بها.. عندما بدأت هذه الرحلة، كان النهر يبدو عند بدايته عريضاً كالبحر. ولكنه الآن أصبح ضيقاً، وكأنه يطبق على المركب، والأدغال الخضراء العالية تبدو قريبة، وكأنها تستطيع مد يدها لتلمسها. مما يذكرها بأحد أسباب رحلتها هذه، سبب لم تعترف به بعد، حتى لنفسها.

لقد تركت لها ربة عملها السيدة دودج، بعد موتها، مبلغاً من المال

لتصرفه على رحلة إلى الخارج مكافئة لها.. وقالت في وصيتها:

«إلى عزيزتي باتريسيا بالمر.. الصديقة الوفية.. حتى تتمكن من فرد جناحيها نحو بلاد بعيدة».

وقالت باتريسيا للمحامي السيد بكلند:

ـ لا أستطيع قبول المبلغ

فابتسم المحامي:

ـ قبولك له لن يحرج أي أقارب فقراء للسيدة دودج يا سيدتي الشابة، فما تبقى من الأملاك سيذهب إلى ابن أخيها دايفد، وهو للأسف لم يتصل بعمته منذ سنوات عديدة. وفي الواقع، لا يعرف أحد مكان وجوده، أو حتى إذا كان حياً. إنه مغامر متشبث برأيه.. كما علمت.

ـ ولكن السيدة دودج تعتقد إنه لا يزال حياً، وهي مقتنعة بهذا. وكانت تتحدث عنه كثيراً، وتقول إنه سافر إلى أميركا الجنوبية بحثاً عن مناجم الذهب، وأقسم أن لا يعود قبل أي يصبح مليونيراً.

ـ إنها مغامرة خطرة، وسببت لعمته الحزن الكثير. وسوف ننشر إعلانات له بالطبع، ولكن قد يكون في أي مكان لا نعرفه.. فأميركا الجنوبية بلاد واسعة جداً.

وفي الأيام التي تلت وجدت باتريسيا نفسها تفكر أكثر فأكثر بدايفد دودج المفقود. كانت السيدة دودج قد قالت لها مراراً:

ـ لقد كتب لي بضع مرات من التشيلي والبارغواي والأرجنتين. ولكنه لم يكتب شيئاً منذ سنتين.

وعرضت عليها صورة له، كان طويلاً أشقر الشعر، إحدى ذراعيه ملقاة على كتف عمته. ولم يكن في طلعته الجميلة شيء يدل على أن تحتها مغامر متطرف يتوق للأنطلاق.

وابتسمت لنفسها وهي تفكر: وأنا كذلك لا يبدو علي حب المغامرة، وأنا لا أزال في منزل والداي وقد بلغت الثانية والعشرين. لقد حاولت عدة مرات الخروج لتشق حياتها بنفسها ولكن أمها كانت تقابل هذه المحاولات بالبكاء والعويل والأحتجاج على عقوقها وجحدان جميلها.

واتسعت ابتسامتها عندما تخيلت أمها وردة فعلها عندما عرفت بنيتها على القيام بهذه الرحلة. إنها تنوي الآن، أن تستمر في هذه الرحلة إلى آخر مدى يصل إليه المركب، ثم تقرر هناك ما تفعل. وهي تحس الآن بالروعة لكونها لوحدها، بعيدة عن تسلط أي إنسان، حتى لتمكنها من الوقوف على سطح المركب ومشاهدة عالم الأدغال وهي تمر بها ببطء.

وهناك.. في عمق هذه الأدغال الخضراء، وعلى ضفة نهر مخفيّ قد يكون دايقد دودج ينقب عن الذهب.

وبما أنها الآن هنا، فباستطاعتها أن تعترف ولو لنفسها أن فكرة البحث عنه قد خطرت ببالها أكثر من مرة.. وقد يكون هذا حلماً رومانسياً غبياً.. ولكنها حفرت آخر اسم مكان ذكرته السيدة دودج في ذهنها جيداً. وإذا وجدت نفسها بالصدفة في جوار مقاطعة سالتا الجبلية، فلا مانع لديها أن تقوم ببعض التحقيقات.

الكابتن كاستيا وبعض أفراد طاقمه يتحدثون بإنكليزية مبعثرة، وحدقوا بعدم فهم ظاهر لدى طرحها عليهم بعض الأسئلة. ولكن هذا لم يجعلها تتراجع.. وصممت على أن تقوم ببعض الأستفسارات الإضافية عندما تنزل إلى سانتياغو ديلاستيرو... وأن توصل تلك الرسالة إلى الفندق في نفس الوقت.

الحياة لها لم تكن ذات أحداث حتى الآن. ولكن هذا كله سيتغير... وهذه الرحلة إلى أواسط أدغال الأرجنتين ستكون مجرد البداية لرحلات قادمة إلى أدغال أميركا الجنوبية..

سالتا.. القابعة في حضن الجبل.. ها أنا قادمة إليك.

★ ★ ★

أول نظرة لها على سانتياغو ديلاستيرو، بعد يومين من الإبحار فوق النهر، جعلت تفاؤلها ينطفيء قليلاً. كان هناك مرفأ خشبي، مبني فوق عوامید خشبية، تنتشر حوله المنازل الهندية الطراز ذات السقف المصنوع من أغصان الشجر، بعضها مبني داخل الماء. وخلف هذا بناء مرتفع كبير، نسبياً، مسقوف بألواح حديدية، وإلى البعيد غابات المطر الأستوائي.

ووجدت باتريسيا نفسها تتساءل عما إذا كان هناك فندق حقاً في هذا المكان. وقبل أن تنزل إلى الشاطيء. اتخذت الأحتياطات العادية في وضع جواز سفرها ومالها وأشياءها الثمينة في حقيبتها، إضافة إلى كوب للشرب خاص بها وأدوات للطعام.

إيجاد الفندق لم يكن صعباً، فهو بناء خشبي له لافتة انمحت بعض من أحرفها، معلقة فوق المدخل، وشرفة صغيرة.. وتسلقت باتريسيا درجات السلم بحذر، ودخلت.

المروحة الكبيرة كانت معلقة في السقف تحرك الهواء باستمرار ولكن دون أن تفعل شيئاً لتخفيض الحرارة. ومسحت وجهها بمنديل وهي تنظر حولها. وبدا أنها تقف على بار لتقديم المشروب، ولكن المكان بدا مهجوراً. وتقدمت نحو البار لتدق على خشبه اللماع... وساد صمت قصير، ثم ظهر رجل صغير الجسم، سمين، يرتدي قميصاً دون أكمام وبنطالاً واسعاً، من خلف ستارة، ثم وقف ليحدق بها بصمت وتساءل مندهش. فقالت له:

- يومك سعيد سنيور. هل تتكلم الأنكليزية.

ونظرت إلى الكتيب الذي يرشد لبعض الكلمات باللاتينية، بعد أن هز الرجل رأسه بالنفي، وتابعت وهي تخرج الرسالة من حقيبتها؛

ـ من فضلك.. هل السنيور دي لاكروزا موجود؟

وتعمق تعبير الجهل على وجه الرجل وهز رأسه بالنفي، ومسح يداه في بنطاله قبل أن يمد يده ليأخذ الرسالة منها، ويتفحصها وكأنها ستعضه.

وأحست بالراحة لأن السنيور دي لا كروزا المجهول لا يعيش في الفندق. وهزت كتفيها.. لقد فعلت كل ما طلبته جولي باترسون منها. وبإمكانها الآن أن ترى ما تستطيعه من البلدة قبل إقلاع المركب من جديد. وبدا لها من غير المجدي القيام بأي تحقيق عن «سالتا» مع موظف الفندق، فملاحقة آثار دايفد دودج أمر سخيف على كل الأحوال.

ولاحظت أن الرجل يحدق بها ويشير إليها كمن يشرب شيئاً. فترددت، ولإدراكها أن هذا هو المقهى الوحيد ربما في البلدة، فكرت، وهي تتلمس شفتيها بلسانها، بأن من الأفضل لها أن تتناول شراباً الآن وقالت باللغة البرتغالية، حسب ما فهمت من الكتيب المعلم معها:

ـ ماء الصودا؟.. دون ثلج..

وهز الرجل كتفيه، من الواضح إنه متعجب كيف أن شخصاً يطلب مشروباً دون ثلج في هذا الطقس الحار، ومد يده إلى براد بدائي ليخرج لها زجاجة مياه غازية ويشير إليها للجلوس على أحد الكراسي.

الكأس الذي أعطاه لها مع الزجاجة كان نظيفاً بشكل مدهش. والشراب كان طعمه سحرياً.. بارك الله في شراب الكولا، وارتشفت جرعة كبيرة من الكأس.

ونظرت إلى ساعتها، وقررت أن هناك ما يكفي من وقت لشرب زجاجة كولا ثانية، فضربت فوق الطاولة بقطعة نقود. ولم تتلق الرد، فضربت مرة

أخرى بصوت مرتفع أكثر. واهتزت الستارة ودخل منها رجلان هذه المرة. وكلاهما غريب. وخاطبها أحدهم:

ـ سنيوريتا.. سينيوريتا المركب ينتظرك.

ـ اوه يا إلهي..

ونزلت عن كرسيها ووضعت بضعة قطع نقود على الطاولة.. إما أنها فقدت الأحساس بالوقت أو أن ساعتها توقفت... وشكراً للسماء بأن الكابتن كاستيا قد أرسل شخصاً ليجدها، فآخر شيء قد ترغب به هو أن تبقى هنا إلى حين عودة المركب في رحلة العودة.

وكان بانتظارها سيارة جيب قديمة خارج الفندق. وفتح لها الرجل الباب وساعدها على الصعود في المقعد الأمامي.. في ظروف عادية كانت من المؤكد أن ترفض، ولكن الوقت مهم الآن. على كل، أحست بالأنزعاج عندما صعد الرجل الأخر، الطويل ذو الشنب الأسود، إلى جانبها ليحتجزها بينهما.

وعاد لها القلق بسرعة. فقالت:

ـ لقد غيرت رأيي...

ولكنها لم تكمل بعد أن دار محرك «الجيب» واندفع إلى الأمام حتى كادت تقع من الزجاج الأمامي. وفي الوقت الذي استعادت فيه اتزانها من جديد، كانوا قد خرجوا من البلدة، في الأتجاه الأخر من حيث يرسو المركب. وأصابها الذعر. واستدارت إلى السائق محاولة الحديث بهدوء:

ـ هناك خطأ ما.. أرجوك.. إسمح لي بالنزول هنا.

وابتسم السائق ليكشف عن عدة فجوات بين أسنانه، وأكد لها بسعادة وإنكليزية مكسرة:

ـ نحن نذهب إلى مركب.

ـ ولكن ليس هذا هو الطريق إلى المركب.

دون جدوى. . فقد استمر الجيب يهدر باتجاه الغابة الخضراء الكثيفة. . . ولو أرادت أن تصرخ، فهذا هو الوقت الملائم قبل أن يخرجوا تماماً من البلدة. ولكنها لم تكن واثقة أبداً أن عضلات حنجرتها سوف تطيعها.

وتنفست بعمق، محاولة التفكير بروية، ثم مدت يدها إلى حقيبتها، قائلة:

ـ مال. . مال لكما. . دعوني أذهب. . . هذا كل ما أملك. . صدقاً.

ونظر الرجل إلى المال وهز رأسه بحزن، ثم أعاد يدها الممدودة إلى الخلف. . وحاولت ثانية وبيأس:

ـ لا أملك أكثر. . أنا لست غنية.

ولكن. . إذا لم يكونا يريدان مالها. . فماذا يريدان؟ وأجفل ذهنها عن التفكير بالرد الواضح.

وأصبح الطريق الآن مجرد ممر ضيق، واستمرت سيارة الجيب في الأندفاع فيه. هابطة في الحفر، وفوق أغصان الشجر الملقاة فوق الأرض وهي تسير. وتأكد لباتريسيا أنها ستخرج من هذه المغامرة بإحدى فقرات ظهرها مكسورة دون شك.

وكان السائق يصفر جذلاً من خلال إحدى الفجوات بين أسنانه، وأرسل الصوت رعدة في أطرافها. وحدق بها ثم قال:

ـ المركب. . قريباً.

فردت عليه بقنوط. ولم تعد تهتم أفهم أم لا:

ـ المركب اللعين في الجهة المقابلة.

وتشعبت الطريق فجأة، وسارت بهم السيارة إلى عمق الغابة وكأنهم يدخلون في نفق رطب أخضر. ودوت أصداء صرخات الحيوانات والطيور

فوق صوت المحرك. وأخذت نباتات السرخس والنباتات الأرضية تحف على جوانب الجيب.

وأحست باتريسيا بأنها تمر في لحظات غير واقعية، وأن هذا لا يمكن أن يكون يحصل لها. وسوف تستيقظ لتجد نفسها سالمة على أرجوحتها على متن المركب. وعندما ستفعل فأول رد فعل لها سيكون تمزيق رسالة جولي باترسون.

وبدأ الجيب يبطيء سيره، وشاهدت باتريسيا أمامها لمعان ماء. ربما ستحدث المعجزة الآن. ربما هذه مجرد طريق ملتفة تصل إلى نفس الميناء، وسوف ترى المركب الآن، تنتظرها.

ولكن زمن العجائب قد مضى دون رجعة. والرحلة انتهت بها عند منصة رسو مراكب مؤقت. حيث توقفت عليه مركبة صغيرة لها محرك خارجي. وصاح السائق بانتصار:

ـ مركب. . .

ـ ولكن هذا المركب الغلط.

ونظر الرجلان إلى بعضهما، وهزا برأسيهما بشفقة. . وتناولت باتريسيا حقيبتها ثانية:

ـ أنظرا. . أديرا الجيب من حيث أتينا. . وأرجعاني إلى سانتياغو ديلاسيترو ولن أخبر أحداً عما حدث. وخذا المال، ولن تحدث مشاكل أقسم. . ولكن. . أرجوكما. . دعاني أذهب.

ورد عليها السائق بصوت حازم:

ـ مركب. . الآن. . سنيوريتا.

وسارت بينهما نحو المنصة، ولم يلمساها، أو يستخدما أي نوع من الضغط، وساورها إغراء في أن تهرب. . ولكن إلى أين؟ فالناس كما

تعرف.. دخلوا الغابات الأستوائية واختفوا. وحتى الوقت الذي ستتمكن فيه من العودة إلى حيث المركب، لو أنها استطاعت، فسيكون الكابتن كاسيتا قد أبحر، فهو لا ينتظر أحداً. ولأول مرة في حياتها فهمت لماذا يدفع الخطر الكبير ضحيته ليكون مستسلماً.

بإمكانها أن تقفز إلى النهر. ولكن تفكيرها بما سمعته عن سمك «البيراناه» المتوحش، والفظائع المرعبة التي يمكن أن تكون كامنة تحت هذه المياه البنية كان له التأثير المانع في نفسها.

وصعدت إلى المركب وجلست حيث أشارا لها، وراقبتهما وهما يديران المحرك..

لو إنها ذاهبة إلى مصير أسوأ لها من الموت، فيبدو أنها ستذهب إليه بارتياح..

واشتعل المحرك، ثم استقر في حركة منتظمة، وفك أحدهم الحبل المربوط إلى المنصة.

وهم ينطلقون صعوداً عكس تيار النهر، سمعت باتريسيا عن بُعد، صوت قصف الرعد البطيء، وكأنه نذير الشؤم.

الفصل الثاني

ثارت العاصفة بعد ساعة... ولم تلاحظ باتريسيا كثيراً كيف وصلت تلك العاصفة... فقد كانت الغيوم المشحونة تتجمع فوق الغابة، ولمعان البرق كان يتبعه انفجار رهيب دوت منه أرجاء الغابة. ولكنها أملت كالأطفال أن يصلوا إلى حيث وجهتهم قبل أن تضرب العاصفة بكل قواها.

وواجهوا كذلك مشاكل أخرى. فهذه العاصفة، كما هو واضح، الأخيرة بين سلسلة من العواصف في اويام الأخيرة مما جعل النهر يتصاعد. وكان على المركب أن يكافح بقوة ضد تيار قوي مندفع إضافة إلى تجنب أغصان الشجر والصخور الخطرة التي كان يجرفها معه.

وتساءلت باتريسيا باستسلام للقضاء والقدر، ما إذا كانت هذه ستكون النهاية... فوق نهر إستوائي مجنون.. بين غرباء... لتبقى عائلتها، وإلى الأبد، تتساءل ما حدث لها.

والتصقت ملابسها بجسدها، وتدلت خصلات شعرها، كذنب الفأر، على وجهها. وأحست بخدر في أعصابها، ولكنها لم تستطع التمييز ما إذا كان هذا بسبب البرد أم الخوف... وربما كان بسبب الأثنين معاً.

وفي لحظات اليأس هذه، استدارت مقدمة المركب نحو ضفة النهر،

ورفرفت باتريسيا بعينيها عبر رموشها المبتلة، لترى منصة رسو، يبدو أنهم وصلوا. وكان بانتظارهم رجال ملثمون، وأدركت أنهم كانوا يتوقعون وصولهم وقد امتدت الأيدي لتساعدهم على النزول إلى البر، ولف أحدهم حولها معطف واقٍ من المطر غطاها من رأسها حتى قدميها.

وأخذوها من هناك بسرعة، ولم تدر إلى أين، كل ما أحسته أنها كانت مقادة، وتقريباً محمولة فوق بعض المرتفعات. وأحست بحجارة تحت قدميها وعشب، وتعثرت، وانزلق الحذاء الخفيف فوق الأرض الملساء.

وسمعت صوتاً محترماً يقول بالأسبانية:

ـ أنا آسف جداً سنيوريتا.

هل يعتذر الخاطفون عادة لضحاياهم؟

وتوقف هطول المطر فجأة، مع أنها استطاعت أن تسمع استمراره في مكان قريب. وسمعت أصوات نساء... يتحدثن الأسبانية. ورُفع عنها الغطاء. ونظرت باتريسيا وهي مصابة بالدوار إلى وجه أسمر بني تحمل الأبتسامة فوقه الدهشة والترحيب معاً. وقالت المرأة:

ـ أرجوك... ڤينا كومغو... (تعالي معي) سنيوريتا.

ووجدت نفسها في ممر مضاء بقناديل زيت. وسمعت صوت وقع حذائها فوق خشب مصقول. وأحست ببعض الأمل، فالأستقبال هذا جعلها تعتقد أنها ليست مخطوفة بل مجرد ضحية سوء فهم غبيّ ومحرج. ربما هؤلاء هم الأصدقاء الذين كانت تنوي جولي باترسون أن تلتقي بهم، وهذه الأم الحنونة، التي تحثها على السير بلطف، ما هي إلا مضيفتها.. وإذا كانت كذلك فأنها لا تبدو مستاءة من بروز ضيفة غير التي تتوقع من بين الأمطار.

ووصلت إلى غرفة نوم ضخمة، أثاثها قاتم اللون وثقيل، ولكن ليس في غير محله مع ما يحيط به. ونظرت إلى السرير المرتفع الكبير.

ومفارشه ووسائده البيضاء كالثلج، ولكن عندما تقدمت بها المرأة إلى الغرفة الصغيرة الملحقة بغرفة النوم، وشاهدت ما ينتظرها هناك حتى أطلقت تنهيدة ارتياح واطمئنان.. فقد وجدت مغطساً مزخرفاً بشكل مدهش له قوائم تشبه المخالب، مملوء بالماء الذي يتصاعد منه البخار بشكل مغري.

وأغلقت المرأة ستاراً حول المغطس وأشارت إلى باتريسيا أن تخلع ملابسها. وترددت قليلاً قبل أن تفعل. فقد كانت تفضل خلوة أكثر من هذه وهي تخلع ملابسها. وأحست بالأمتنان لأدارة المرأة ظهرها لها، كذلك الأمتنان لتمكنها أخيراً من نزع الملابس المبتلة عن جسدها. فحتى ملابسها الداخلية كانت مثقلة بالمياه.

وأنزلت جسدها ببطء في الماء الساخن وهي تتمتم بكلمات الأرتياح. ونظرت إليها المرأة وهي تغمز لها، ثم جمعت كل الملابس المبتلة واختفت بها. هكذا أفضل.. ولكن ماذا سترتدي إلى أن تجف ثيابها؟ ألم يلاحظ بعد أي من الموجودين هنا أن ضيفتهم بالأكراه ليس معها حقائب؟

وقررت لنفسها: سوف أهتم بهذا عندما يحين الوقت.. وفي هذا الوقت سأتمتع بالراحة في مياه الحمام الدافئة. وساعدها هذا على الراحة والأسترخاء.

وتنهدت ثم أغمضت عينيها، وأسندت رأسها على مؤخرة المغطس. وأخذت تراجع ما تستطيع أن تقوله من أعذار لمضيفيها عندما تراهم. وضاعت في أفكارها حتى أنها لم تسمع باب الحمام يفتح...

ـ يا إلهي.. هل حقاً كنت نصف غارقة...؟

وأرجعها صوت عميق لرجل إلى واقعها بسرعة وصدمة.. وللحظات جلست دون وعي مخدرة الأعصاب تنظر إلى الرجل، وقد شلّها الرعب،

وسجل دماغها المشوش صورة رجل طويل أسود الشعر، له وجه نحيل أسمر برونزي ترتسم فوقه الدهشة والذهول كما ترتسم على وجهها تماماً..

ثم، صحت، وانزلقت عائدة إلى تحت الماء وصدرت عنها الكلمات وكأنها النحيب:

- أخرج من هنا.

- يا إلهي..

ولم تعد تبدو عليه علامات الدهشة الآن، بل غضب غير مصدق. ووضع رزمة كان يحملها في يده أرضاً واستدار ليخرج مقفلاً الباب وراءه. وبقيت باتريسيا كما هي تحت الماء لعدة لحظات، إلى أن استقرت أنفاسها وهدأت دقات قلبها إلى ما يقارب الطبيعة، وزال عنها احمرار الخجل.

وخرجت ببطء من المغطس.. وتناولت المنشفة.

الرزمة على الأرض انفتحت من تلقاء نفسها لتكشف عن روب من الساتان الأرجواني المائل إلى البنفسجي، ونفضت باتريسيا ثناياه وأخذت تتفرس به متجهمة، إنه ثوب متموج، مثير، وغالي الثمن. ومن الواضح قطعاً إنه لم يحضر لها شخصياً.. ولكن كان هذا هو الشيء الوحيد القادرة على وضعه على جسدها. عدا المنشفة المبتلة، ولذا...

وببطء وتردد، دست ذراعيها في أكمامه وربطت رباطه حول خصرها النحيل، ربطة مزدوجة. ولكن نظرة واحدة إلى المرآة الكبيرة ذات الإطار النحاسي اللماع على الحائط جعلتها تتأكد من سوء ظنها. إنه كبير جداً عليها.. ورفعت الأكمام إلى فوق، وضمته أكثر إلى جسدها. فبدت وكأنها طفلة ترتدي ثياب الكبار.. واستدارت فلا فائدة من الوقوف هكذا لانتقاد مظهرها، وهزت كتفيها ثم دخلت غرفة النوم.

كان الرجل يقف قرب النافذة ينظر إلى الخارج عبر الزجاج المغشى بالمطر. ولكن، وكأنما غريزته أخبرته بتقدمها عارية القدمين إلى الغرفة، فاستدار ببطء لينظر إليها. وبللت باتريسيا شفتيها بلسانها:

- من.. من أنت؟

- أظن أن هذا يجب أن يكون سؤالي.. من أنت؟

إنكليزيته كانت ذات لكنة قوية ولكن جيدة. ولكنها وجدت لهجته غير مقبولة ولم تعجبها النظرة المتعجرفة التي أخذ يرمقها بها من رأسها حتى أخمص قدميها. ورفعت رأسها لتجيب:

- إسمي باتريسيا بالمر.

وقال بنعومة:

- هذا شيء أعرفه. سنيوريتا.

ورفع يده، وصدمت لمشاهدة جواز سفرها. فقالت بصوت مرتجف:

- هل كنت تعبث بحقيبة يدي؟ كيف.. كيف تجرؤ على هذا؟

وهز كتفيه وكأنه يتجاهلها:

- اوه.. بل أنا أجرؤ. وأظن أن من حقي معرفة هوية من يكون تحت سقف بيتي. والآن أود أن أعرف سبب تشريفك لي سنيوريتا.. ماذا تفعلين هنا بالضبط؟

- وهل لك الجرأة أن تسأل.. بعد.. بعد أن خطفتني عصابتك.

وأطبق حاجباه:

- ماذا تقولين؟

- لقد سمعتني. كنت أتناول شراباً بارداً في الفندق عندما.. دخلوا وقالوا لي أن المركب ينتظر. وظننت أنهم يعنون مركبي، فخرجت معهم. وعندما أدركت، ما حدث قلت لهم مرات ومرات إنهم مخطئون، ولكنهم لم يبالوا.

وهز رأسه:

ـ أوه.. لا.. سنيوريتا، الخطأ خطأك، أؤكد لك.. والآن أين السنيوريتا باترسون؟

وعضت باتريسيا على شفتها:

ـ إنها.. لن تأتي.. لقد عادت.. عادت إلى بلادها.

وظهر الغضب مخفياً تحت قناع هادىء على وجهه. وشعرت بالغضب العنيف، فأحست بالخوف ولكنه قال بصوت مرح:

ـ إذن.. لقد أتيت عوضاً عنها.. هل تتوقعين أن أكون شاكراً؟

ولم يحاول أن يتحرك ولا أن يلمسها، ومع ذلك أحست فجأة بأنها تتعرى تحت نظرته الساحرة، وقالت بهدوء وبرود:

ـ لا يمكنك أن تكون أكثر خطأ. فأنا لم أجيء عوضاً عن أي شخص. لقد ذهبت إلى الفندق لأوصل رسالة الآنسة باترسون.. واعتقد أن اسمك هو لاكروزا.

ـ أنت مصيبة.. وأين هي الرسالة؟

ـ لست أدري.. أعتقد أنها في الفندق.

ـ كم هذا مؤلم. لن أعرف إذن كيف اختارت جولي الجميلة أن تصرفني عنها.

ـ أظن أنها وجدت الرحلة على المركب.. صعبة عليها. فأوضاع السفر على المركب.. بدائية.

ـ من الواضح سنيوريتا، أنك مصنوعة من مادة أصلب منها. على عكس مظهرك. وربما أنت بحاجة لأن تكوني هكذا.

ـ أنا واثقة أن هناك معنى عميق ملتوي وراء كلامك هذا. ولكنني متعبة جداً ومنزعجة جداً كي أفكر فيه الآن. وأنا آسفة لخيبة أملك من عدم

وصول الآنسة باترسون.. ولكن...

ـ بل أنا أكثر من خائب أمل. أشعر بالدمار لأن جميلتي جولي تمكنت من نسياني بسرعة.. لقد تقابلنا السنة الماضية خلال عطلة قضيتها في إسبانيا، و.. تطورت العلاقة بيننا.. وأنا واثق أنني لست بحاجة للخوض في التفاصيل...

فاحمر وجه باتريسيا:

ـ لا.. فهذا ليس من شأني حقاً، سنيور...

ـ خوليو... خوليو دي لاكروزا. وأود أن أقول أنك قد جعلت الأمر شأنك عندما قررت التدخل.

ـ حسناً سنيور دي لاكروزا، من الواضح أنها أعادت النظر في أمر علاقتكما.

ـ وهكذا اضطررت أنت أن تأتي مكانها... ولكن إذا كنت تظنين أن فتنتك هي بديل عن فتنتها سنيوريتا... فأنت مخطئة.

لا شيء.. ولا يمكن لشيء، أن يحضّرها لمواجهة مثل هذه الإهانة. وحدقت به بذهول وقد جفت الدماء من وجهها.. أرادت أن تمد يدها لتخربش وجهه، لأن تجعل الدم يسيل من بشرته، أن تجعله يتألم.. ولكنها ردت عليه بأدب شجاع:

ـ يبدو أنك واقع في نوع من سوء الفهم سنيور. فليس هناك أية نية في التبديل، ولن يحدث. وكما شرحت لك، لقد أتى بي رجالك إلى هنا خطأ وضد إرادتي.

ـ وهل قاومتهم.؟ رفستهم.. صرخت.. قاومت؟ لم ألاحظ أي دلائل مقاومة على أي منهما...

ـ لا.. ليس بالضبط.. ولكنني حاولت أن أشرح لهما، أن أتفاهم

معهما... اوه.. أنت لن تفهم... ولكن يجب أن تصدق بأن مجيئي إلى هنا لم يكن بإرادتي. ورغبتي الوحيدة الآن أن أغادر، وأعود إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ـ إنه هدف رائع ولكن تحقيقه صعب، للأسف. فليس هناك وسيلة للخروج من هنا سوى مركبي، وعبر الطريق التي أتيت منها. وطالما تستمر هذه الأمطار فالنهر خطر على الملاحة فيه.

وشهقت باتريسيا:

ـ ولكن إلى متى سيستمر هذا الوضع. يجب أن أعود، أن أرجع إلى المركب في طريق العودة.

فهز خوليو دي لاكروزا كتفيه:

ـ قدر ما تستمر يا سنيوريتا، وإلى أن ينخفض مستوى النهر ثانية لن تذهبي إلى أي مكان. وفي هذه الأثناء، أنت ضيفتي المكرّمة.

ـ ولكن ليس لدي ملابس حتى..

ـ لا مشكلة.. لقد كنت أنتظر ضيفتي الأخرى.. لذا خذي حريتك باستخدام ما تحتاجين إليه مما حضرته لها.

وقالت بغيظ:

ـ هذا كرم منك ولكن، كما قلت بنفسك، قياس ملابسنا ليست متناسبة، ولا شكلنا.

ـ مارغريتا، مدبرة منزلي، ستكون مسرورة بإصلاح أي قياس ترغبين به. لقد أعطيتها تعليماتي.

وكم رغبت أن ترمي تعليماته، ضيافته، ملابس جولي باترسون بكاملها في وجهه، وأن تصرخ بكل ارتفاع صوتها.. ولكنها بقيت صامتة. فهي لا تعلم كم ستبقى هنا، فلو أمضت أياماً، فلا فارق أن تمضيها بالبنطلون

القطني والبلوزة التي وصلت بهما أو في أي ثوب آخر. وقالت له بجفاء:

ـ شكراً لك.

وهز رأسه باحترام:

ـ من دواعي سعادتي.. سنيوريتا. سنلتقي وقت العشاء.

وراقبت جسده الفارع الطول وهو يخرج من غرفة النوم، ويقفل الباب خلفه. ثم انهارت ساقاها من تحتها وغرقت وسط الروب الساتان القرمزي فوق البساط القديم الذي يغطي الأرض.

ومن بين أنفاسها، أخذ تراجع بألم وغضب كل كلمة سيئة أو شتيمة، سمعتها أو عرفتها أو تصورتها، وتطبقها بكل معانيها على خوليو دي لاكروزا. ثم أخيراً.. انفجرت بالبكاء.

ومع أن كلماته آلمتها إلا أن مشاعرها العادلة أجبرتها على الأعتراف بأنه محق.. فهو يريد جولي باترسون، وكان يتوقع جولي باترسون.. وإذا كان يظن حقاً أنها قد جاءت عوضاً عنها.. وفي نفس النظرة للهدف الأساسي من الزيارة، لذا فلديه كل الحق لأن يحس بالمظلمة.

ولكن لا.. لا يمكن أن يظن أنها أتت إلى هنا عوضاً عن عشيقته.. إنه فقط كان متكدراً... ولامها لأنها كانت موجودة.

وارتدت ما أصلحته لها مارغريتا، بعد جهد، وخرجت تبحث عن غرفة العشاء. وكان خوليو بانتظارها في قاعة الطعام. كانت غرفة واطئة السقف، معتمة، والطاولة الطويلة المصقولة اللامعة، من الواضح أنها صممت لعائلة كبيرة. وقال لها بأدب:

ـ هل تحبين تناول شراب؟

ـ أيمكن أن أحصل على عصير برتقال أرجوك؟

- بالطبع.

وصب لها كأس عصير من الأبريق.. فارتشفت منه لتجده قوياً جداً، فلاحظ ذلك وقال:

- ربما أنت معتادة على العصير الأصطناعي.

الطعام، عندما وصل، كان لذيذاً، حساء مُبهّر، مع الأرز والخضار، تبعه بط مع صلصة يسيل لها اللعاب.. وتناولت باتريسيا الطعام بشراهة حتى أنها اضطرت لرفض حلوى الشوكولا، ولكنها تقبلت فنجاناً من القهوة. وخلال تناول القهوة لم تستطع تجنب الحديث وقال لها:

- من بعد إذنك سأدعوك باتروسا.. وأرجوك أن تناديني باسمي الأول.

- بإمكانك فعل ما تشاء بالطبع سنيور.

- وهل تفضلين الرسميات؟

- ما أفضله أن أكون في مكان غير هذا.

- ألم يعجبك منزلي؟ إن له تاريخ مثير للأهتمام، فقد بناه أصلاً جدي الأكبر في عز زمن زراعة قصب السكر.. وكل ثروتنا أساسها معمل التكرير الذي نملكه.

- بالطبع.. سانتياغو ديلاستيرو بناها المستوطنون الكبار عام ١٥٥٣ أساساً من ثروتهم التي جمعوها من تجارة السكر، كذلك سانتافيه أول ميناء نهري على هذا النهر، سلادو، وجامعتها ودار الأوبرا فيها.

- آه أجل.. لفترة ما كانت سانتافيه أغنى مدينة تقريباً في أميركا الجنوبية.. وكانت غلطتنا أننا ظننا أن العالم الخارجي لن يفكر بمشاركتنا ثروات بلادنا.

وتابع بعد توقف قصير:

- بينما انخفضت قيمة صناعة السكر، بدأ اهتمام عائلتي بالمزارع

بخف، ووجهوا اهتمامهم لحقول أخرى.. والعديد من المزارع في هذه المنطقة تركت لتموت وتعود إلى الغابة، ولكنني قررت أن لا يحدث هذا لمزارعنا.

- هذا أمر مؤثر.. هل عشت هنا لمدة طويلة؟

- عام.. أو عامين. يناسبني أن أقضي جزءاً من حياتي هنا.. وأنت باتروسا، لماذا جئت إلى هنا؟

- أعتقد بإمكانك القول.. إنني جئت بحثاً عن شخص.

- رجل؟

وأجفلت باتريسيا، في الواقع كانت تعني البحث عن نفسها، ولكن كان هناك حقيقة قليلة فيما قال. فردت عليه:

- لا أظن أن هذا الأمر يعنيك.

- لقد حصلت على الرد إذن.

- لست أرى سبب حاجتك للسؤال.

فرفع حاجبيه:

- أنت مقيمة في منزلي.. ألا يُسمح لي بقليل من الفضولية عنك؟

- بما أن معرفتنا ستكون قصيرة، فربما لا يُسمح لك.

وقال بصوت منخفض:

- أحياناً.. عندما تسوء العاصفة، نعلق هنا لأسابيع.

وضحك عندما لاحظ تعبير وجهها الخائف. فقالت:

- لقد أفسدت كل رحلتي.. وتظن الأمر مضحك؟

- لست أضحك. أما بالنسبة لعطلتك.. فسأحاول أن اعوض عليك بطريقة ما.

- أرجوك أن لا تزعج نفسك.

- إذن.. في أميركا باتروسا.. أين تقيمين؟

www.rewity.com

ـ أقيم في الجنوب. . وإذا أصريت على مناداتي باسمي الأول فأنا معروفة باسم بات.

ـ بات؟ إنه أسم رجل.

ـ لا يهم. . فهذا هو إسمي.

ـ ومن هم. . هم؟

ـ عائلتي. . أصدقائي. . من أعمل لديهم. .|وليس الجميع.

ـ وهل تعيشين في مدينة؟

ـ يا للسماء. . لا. . بل في بلدة صغيرة هادئة، ما تدعوه مركزاً تجارياً.

ـ وما نوع عملك؟

ـ أعتني بالناس.

ـ لا بد أنه عمل مريح. . طالما استطعت تحمل مصاريف رحلة مثل هذه.

ـ إنها رحلة العمر. ومن الآن وصاعداً سألتزم عطلاتي في أوروبا. فهناك لن أخطف أبداً.

ـ ألا زلت مصرة على أن هذا ما حدث؟

ـ أنا موجودة هنا أليس كذلك؟

ـ دون شك. . إذن. . أين التقيت بجولي؟ في بلدتك؟

ـ لقد التقيتها هنا على ظهر المركب، لقد صعدت إليه في سانتافيه.

ـ ولم تكوني قد قابلتيها من قبل؟ وكنتما مجرد زميلا رحلة. . أخبريني هل وجدتما صعوبة في التحدث معاً؟

ـ في الواقع لم نتحدث كثيراً معاً. إنها جميلة، وأتمنى أن لا تكون قد أصبت بخيبة أمل. . .

ـ إذا كان سؤالك ما إذا كنت أحبها، فالجواب لا. هل يريح تفكيرك المعذب.

وأكملت شرب قهوتها، ودفعت كرسيها إلى الوراء، وقالت بأدب:

ـ أحب أن أذهب إلى غرفتي الآن، إذا كنت لا تمانع. عمت مساء.

وأجابها بالأسبانية وهو ينفض رماد سيجارته:

ـ تصبحين على خير باتروسا.

ـ شكراً لك.

القنديل كان مضاءاً في غرفة النوم، والأغطية مكشوفة حتى منتصف الفراش وإضافة إلى الستائر كانت الشبابيك الخشبية مقفلة. ووجدت أن النوم بعيد المنال. المطر قد توقف ولكن الهواء ساخن، وساكن كأنه يهدد بعاصفة أخرى. وأبعدت عنها الأغطية ولفت نفسها بالملاءة القطنية لوحدها. وقالت لنفسها «إسترخي. . لا داعي للقلق».

وهي تتقبل تطمينها لنفسها. . فتح الباب ودخل خوليو دي لاكروزا إلى الغرفة. . .

الفصل الثالث

راقبته باتريسيا وهو يتقدم ليجلس إلى حافة السرير وهي مشلولة.

ـ لقد أتيت لك بشراب ساخن قبل النوم، أليست هذه عادة أميركية يا باتروسا؟

ـ أجل.. أعني.. لست أدري. ولكنني لا أريد شرب شيء.. شكراً لك سنيور.

ـ ولكنك لن تمانعي لو شربت أنا لوحدي؟

وبدت المتاعب تلوح منه، بحيث لن يمكنها التعامل معها. ثم وضع كأسه على الطاولة وبدأ يفك أزرار قميصه، وصاحت بصوت لم تعرفه هي بنفسها:

ـ ماذا تظن أنك تفعل؟

فأخذ يجيل نظره في جسدها الملفوف بملاءة قطنية وقال:

ـ أخلع ملابسي.. ألا تخلعين ملابسك عندما تنامين يا حلوتي؟

وأجبرت نفسها على ملاقاة نظرته بثبات وبرود:

ـ الأفضل أن تتابع خلع ملابسك في غرفتك.

ـ هذه غرفتي.

ـ إذن كن لطيفاً إذن واستدعى مارغريتا واطلب منها تحضير سرير لي في مكان آخر.

ـ لا يا عزيزتي لن أكون «لطيفاً» أنت هنا في مكانك الصحيح، وكلانا يعرف هذا. مع إنني ألاحظ أنك تجدين سعادة في لعب دور البراءة.

وضحك بخبث، ومرر أصابعه فوق الملاءة، التي تلامس بشرتها العارية.

ـ لقد كانت لعبة مسلية، بطريقة ما، ولكنني أطلب الآن نوعاً آخر من التسلية منك.

وضربته على يده:

ـ كيف تجرؤ؟

فتنهد وتابع خلع ملابسه.

ـ قليل من الممانعة يزيدك فتنة. ولكن المزيد يجعلك مزعجة.

وستجديني متسامحاً باتروسا.. ولكن لا تظني أن التظاهر بالممانعة قد يجبرني على رفع الثمن المستعد لأن أدفعه.

وللحظات ظنت أنها تسمع دوي الرعد من جديد، ولكن هذا كان دقات قلبها وقد ملأت رأسها وتفكيرها وجعلت من المستحيل عليها أن تفكر، أو تتصرف...

ولكن يجب عليها هذا.. يجب.. لا يمكنها الهرب بالطبع.. ولكن ربما يمكنها أن تتحاور معه، أن تحاول إقناعه بالتعقل.

ـ سنيور.. أنت ترتكب خطئاً جسيماً. أنا لا.. أنا لست.. لقد التقيت بجولي باترسون صدفة على المركب. ووافقت أن أوصل لها رسالة.. وهذا كل شيء. وأنا... أنا.. لم يكن لدي أية فكرة...

وتلاشى صوتها عندما شاهدت ضحكته الساخرة وقاطعها:

ـ وبالصدفة سألتي عني في الفندق.. وبالصدفة جئت مع رجالي..؟ كلها سلسلة من الأخطاء. أليس كذلك؟

ـ أجل.. اوه كيف يمكن أن أجعلك تصدق؟

ـ لن تستطيعي.. وادعائك هذا يزعجني ويتعبني، وخاصة أن هناك طريقة أكثر لذة في الوصول إلى التعب. يا عزيزتي.

وتخلص مما تبقى من ثيابه، فاستدارت باتريسيا إلى الجهة الأخرى مغمضة عينيها وهي تلعن الملاءة العالقة تحتها، وأحست بالفراش يغوص إلى الأسفل من جراء ثقل جسمه قربها. فقالت بخشونة:

ـ إذا لمستني سأصرخ.

ـ ومن هنا ليسمعك.. أو يهتم بصراخك؟ أتمنى أن تكونَ لك رئتان قويتان يا عزيزتي، لأنني أنوي أن ألمس كل إنش من جسدك.

فقالت بصوت متحطم:

ـ يا إلهي.. حتى أنك لا ترغب بي..

ـ وهل هذا يزعجك يا صغيرتي؟ أعدك بأنني سأكون أكثر رغبة بك مع كل لحظة تمر.

وخطف الملاءة من فوقها واحتواها بين ذراعيه. وصعقت لملمسه، فتجربتها مع الرجال حتى الآن لم تتجاوز بضع قبل في بعض المناسبات. وكانت تتقبل هذا منهم بأدب ثم تصرفهم، ولكنها لم تشعر أبداً بغليان دمها، ولا بأي رد فعل قد يسبب لها أي نوع من الندم عندما يبتعدوا عنها.

كل ما تعرفه، هو ما تعلمته من دروس «البيولوجي» في المدرسة. والآن.. وفي بضع لحظات مدمرة.. ذلك العالم الآمن المختبيء عنها سيتدمر. أنها في الفراش مع رجل، مع غريب، بين ذراعيه، يرسل في جسدها رسائل، حتى جسدها البريء، استطاع أن يفك رموزها.

اوه.. يا إلهي.. لا يمكن أن يكون هذا يحدث لها.. مستحيل! صوت بارد ثابت في رأسها حذرها من أن تقاومه... إنه أقوى بكثير كثير منها، عضلات كتفيه وذراعيه وكأنهما حبال الفولاذ المبرومة. ولو قاومته فقد يستجيب بعنف.. وسوف تتأذى.. عاطفياً على الأقل.. وإلى الأبد.

ولكن هل يمكن أن تتركه...

لو أغلقت تفكيرها.. مشاعرها.. عواطفها، كل شيء صنعت منه باتريسيا بالمر... فلن يحدث لها شيء. يمكنها أن تتوقف عن التفكير... عن الشعور... أن تتراجع إلى مكان خفي داخل عقلها الباطن... تنتظر إلى أن تنتهي العاصفة. ما سيجري عمل جسدي محض لا علاقة لها فيه... ولن يؤثر ذلك عليها كأنسانة!

وسمعته يهمس لها:

ـ كم أنت حلوة.. كم أنت ناعمة كم أنت مثل الماء في الصحراء.

ورفع لها رأسها ليقبلها فأحست بالرعدة، رعدة تتصاعد لا علاقة لها بالخوف، وكبحتها على الفور، وقد صدمها ضعفها. وعاد إلى الهمس:

ـ أنت ترتجفين.

ـ وهل هذا أمر غريب؟ أتوسل إليك أن تتركني... أرجوك.

ـ هل حقاً تجديني كريهاً إلى هذا الحد؟ إغمضي عينيك إذن يا عزيزتي. وفكري فقط بما ستكسبينه. فالتفكير بالمال قد يجعلك.. أكثر... قبولاً.. إذا لم يكن شيء آخر.

وأخذت تلوح برأسها بيأس لتبتعد عنه:

ـ لست أريد مالك.. لا أريد شيئاً.

ـ حقاً؟ كم أنت مثالية.. إدفعي لي أنت إذن يا باتروسا. إدفعي لي اللطف والقبول لقاء ضيافتي. وأعتقد أنني سأسعد كثيراً لأقبض منك.

واستلقت باتريسيا جامدة لا حياة فيها. . العذاب سينتهي عما قريب، ولا بد أنه يعيش حياة صاخبة ولن تضطر إلى تحمل اكتشافاته لجسدها لمدة طويلة.

ولكن بمرور المعاناة، لحظة بعد أخرى أدركت كم كان تفاؤلها ساذجاً. إذ لم يكن خوليو دي لاكروزا مستعجلاً أبداً. لقد كان، كما أدركت والأنفاس تكاد تقف في حنجرتها، مصمماً على إثارتها. ومما لا شك فيه، أن ممانعتها، ومحاولاتها التخلص منه، قد جرحت كبرياءه وعجرفته، وهو مصمم الآن أن يجعلها تتجاوب لما يريد.

ولكن، ما يلزمه، هو أكثر من التصميم، لأن جسدها تحجر من الصدمة وهي بين يديه. ولم تعد حقاً تدري كم سيطول الوقت ولكن هذا بالتأكيد ما لم تكن جولي باترسون معتادة عليه منه.

وهمس لها:

ـ أنت لست عاشقة متحمسة!

لا بد أنه انزعج الآن لعدم تأثيره الفوري عليها، فقالت:

ـ أنا لم أعدك بشيء.

ـ لا، هذا صحيح. ولكنني وعدت نفسي.

ورفعت كتفها.

ـ أنا آسفة إذا آلم كبرياءك أن تكتشف أنك لست مرغوباً من أي إمرأة تصادفها.

وقال لها بسخرية ضعيفة. .

ـ ولكنني لا أصادف الكثير.

وأخذتها الشفقة به، لقد كان ينتظر اللقاء بجولي، التي تعرف الكثير عن الحياة. . ولكن بدلاً منها. . الحياة مليئة بخيبات الأمل. . وليس له الحق، بالمرة، أن يفترض بأنها قد حلت مكان جولي. وعادت السخرية

الكاملة إليه وهو يقول:

ـ على كل يا عزيزتي. . ما كان عليك إرسال الدعوة إذا لم تكوني تنوين أن أقبلها.

أية دعوة؟ وانفرجت شفتاها بنكران غاضب، ولكنه أسكتها بشفتيه، وكانت قبلته أعمق هذه المرة، وكأنه يحاول الأنتقام منها، وانتشرت فيها رعدة خوف أخرى، لم تكن تعرف أن رجلاً يمكن أن يكون بهذه النعومة، ويحرقها هكذا حتى أعماق روحها.

وعلى الرغم من نفسها أحست بالمقاومة والغضب يتلاشيان بالتدريج. . وفي مكانهما. . ماذا؟.

شيء لم تستطع تمييزه، أو أنها لم تختبره من قبل، فضول؟ إثارة؟ ربما. . أو شيء أعمق من هذا. . وقطعاً أخطر بكثير. ولم تكن تعرفه، وهذا ما أخافها.

ورفع خوليو رأسه:

ـ حبيبتي. . ألست أسعدك. . ولو قليلاً؟

وكان هذا آخر شيء تتوقع سماعه منه. . لقد كان المتهجم المتعجرف الذي يجب أن تكرهه، ولكن. . .

ـ لست. . أد. . أدري.

ـ تلفظي باسمي.

وأحست بجفاف حلقها. لا تريد أن تلفظ إسمه، سيكون ذلك أمر حميم جداً. . . شخصي. وسيكون بطريقة ما نوعاً من الأستسلام. وحثها مرة أخرى بصوت أجش.

ـ تلفظي باسمي. وقبليني. . ولو لمرة واحدة.

وعلى الرغم من كل تحفظها، وعلمها أن عليها أن ترفض، سمعت

نفسها تهمس «خوليو» وارتفعت يداها إلى كتفيه وجذبته إليها. وما أن تلامست شفتاهما حتى... ضاعت. وجرت فجأة أنهار صغيرة من النار في عروقها، وجنت نبضاتها. الرفض... المرارة... حتى الخوف.. انسدل عليها كلها ستار من العتمة، ولم تكن مجرد قبلة.. بل كانت حمّى.. هذيان... جنون.

ولفترة طويلة بقيت مستلقية دون تفكير أو وعي، وعقلها المصاب بالدوار يحاول وعي ما حدث. ولكن بعودة الوعي، جلب معه الأحساس بالعار والخجل. وعدم تصديق رهيب ومرعب.

اوه يا إلهي.. ماذا فعلت؟ ماذا سمحت له أن يفعل؟

وحاولت أن تبتعد عنه. ولكن ذراعه الملقاة على خصرها شدتها إلى الفراش. وتمتم بشيء أجش غير مفهوم، وبعد لحظات علمت من أنفاسه المنتظمة أنه نام.

واستلقت متصلبة، وهي تكره ارتياحه الكامل... والطريقة التي تتلامس أنفاسه الحارة مع كتفها... وكأنهما كانا ينامان معاً طوال حياتهما. أقل ما كان عليه أن يفعله، هو أن يسمح لها بأن تزحف بجسدها مبتعدة، لتشفي جروح روحها وحيدة.

ولكن الألم الذي سبّبه لها، ولو كان حقيقياً، كان آخر شيء يقلقها. فما هو أكثر إثارة للاضطراب كان حقيقة استسلامها له... لماذا لم تتهرب منه.. لماذا لم تبق باردة معه.. كما كانت تنوي؟

لن تسامح نفسها على ما فعلت... ولكن ما حدث حدث، وانتهى الأمر. وعليها الآن أن تتابع حياتها الحقيقية، وكان ما حدث هو مجرد كابوس، مرعب وقت حدوثه، ولكن قابل للنسيان.

وأدارت رأسها بحذر نحوه.. هذا الغريب الذي عرفها كما لم يعرفها

أي مخلوق من قبل.. والذي جعلها تختبر أشياء لم تكن تدري أنها موجودة فيها.. إنه جذاب.. ولكن ذلك لا يشكل عذراً لأي شيء. وابتسم، وكإنما يحلم حلماً لذيذاً. فأحست بالرجفة، ومدت يدها لتطفيء المصباح.

واستفاقت على صوت إمرأة يناديها «سنيوريتا» وفتحت عينيها لتجد مارغريتا تهزها من كتفها. وللحظة حدقت بها، وقد تملكها الأستغراب تماماً. ثم عادت إلى ذاكرتها ما حدث ليلة أمس بكل التفاصيل. فاستدارت على بطنها لتدفن رأسها في الوسادة.. فلمست مارغريتا كتفها بحنان وقالت بالأسبانية:

ـ السنيوريتا تعبة...

وأشارت إلى فنجان قهوة وضعته لها على الطاولة، إنها لا تريد القهوة، لا تريد أي شيء من ضيافة خوليو دي لاكروزا الكريهة، فليعطها فقط ملابسها ويؤمن لها رحلة العودة إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ونظرت حولها فلم تجد دليل اللغة الأسبانية قريباً، فاعتمدت على ذاكرتها لتقول:

ـ فا فاڤور.. حضري لي البانيو.

وهزت مارغريتا رأسها وكأنها أحست بحرج باتريسيا منها. فأحضرت لها الروب وفتحته لها لترتديه.

ـ لا.. أتركيه هنا. أرجوك.

واستلقت تنظر إلى السقف ومارغريتا تحضر الحمام. لم تحس بخوليو وهو يغادر الفراش، وبإمكانها الآن أن تتجنب الأذلال لدى رؤيته إلى جانبها وتغسل آثار الليل عن جسدها، وتمنت أن تتمكن من غسل تلك الآثار من تفكيرها بسهولة.

لو أنني قاومت.. لكان تغلب علي بقوته في النهاية.. ولكن كان هذا ترك لي على الأقل شيئاً من الكرامة. ولكن الآن... وتخوف ذهنها من التفكير بالواقع.. لقد أصبحت شخصاً آخر.. غريبة تحت رحمة رغباتها الخاصة، أنها تزدري نفسها تماماً.

عندما عادت مارغريتا لتقول لها أن الحمام جاهز، إستجابت وهي تتذمر وتطالب بعودة ملابسها الخاصة. وهزت رأسها بيأس عندما توجهت المرأة المسنة إلى الخزانة، وبدأت تعرض عليها مجموعة من الملابس المعلقة هناك.

وأحست بالسعادة في دفء الحمام، وبدأت تشعر بالأنتعاش، وأخذت تستمع إلى مارغريتا التي كانت تتحرك في غرفة النوم، تتحدث إلى شخص آخر، ربما إحدى الخادمات.

ولم تكن تدري أو تفهم معنى للحديث، وتساءلت متجهمة كم من الفتيات الأخريات خدمت مارغريتا في غرفة نوم سيدها يا ترى؟

عندما عادت إلى غرفة النوم، تلف لمنشفة حولها من تحت الأبطين إلى الكاحل، كانت الغرفة فارغة، والسرير قد أعيد ترتيبه بشراشف ومفارش بيضاء جديدة، ولكنها لم تجد أثراً للملابس التي كانت ترتديها، أو لملابس جديدة لترتديها، وربما ستصل هذه بعد لحظات.

هذا، إذا لم يكن خوليو دي لاكروزا، قد أصدر تعليمات معاكسة، علي نية أن يبقيها سجينة في غرفة نومه، عارية. ولكنها لم تصدق هذا فعلاً.

وأخذت تنظر حولها إلى الغرفة، وإلى بنيانها، وتتساءل كيف إستطاع من بناها إيصال مواد البناء إلى هذا المكان المنعزل النائي من هذه المجاهل... هذا إذا لم نذكر اليد العاملة!

ولكن.. أين هو خوليو دي لاكروزا الآن؟

ربما يكون منشغلاً بعمل ما... مما يبقيه عادة مشغولاً في هذه البقعة النائية من الغابات... ربما مشغول بتجارة الرقيق الأبيض مثلاً...

وفي نفس الوقت تساءلت عما يفعله هنا... رجل ذكي مثقف، يعيش في وسط اللامكان في وسط كل هذه الفخامة المتلاشية.

ولكنها لم تفكر كثيراً.. فهي مرتاحة جداً وتحس بالخدر، حتى أنها لا ترغب سوى بالنوم. وتنهدت، ثم اندست بين أغطية السرير وغطت في نوم عميق.

واستعادت وعيها على رائحة حادة... رائحة سجائر. وعرفت لمن هي الرائحة، وهي تفتح عينيها على مضض.

وكان خوليو دي لاكروزا يجلس على بضع أقدام من السرير في مقعد ذو مسند مرتفع، وقد وضع ساقه التي يغطيها حذاء مرتفع فوق الأخرى، وقميصه القطني الأسود مفتوح حتى الخصر ليكشف المزيد من جسده البرونزي.

وقال بهدوء وبشكل رسمي وبالأسبانية:

- صباح الخير سنيوريتا.

ولم يكن في صوته أي أثر للمرح ولا على وجهه، ولا لمحة انتصار حتى، وبالتأكيد لا.. رغبة. وعاد ليتكلم بالأنكليزية:

- أرجو أن تكوني طيبة معي مرة أخرى وتخبريني بالضبط من أنت، وكيف أتيت إلى هنا.

وابتلعت باتريسيا ريقها بصعوبة.. ما كل هذا؟ هل هو نوع من العذاب اختاره لها؟ وردت عليه بخشونة:

- وهل من فائدة في إخبارك؟ فأنت لن تصدقني.

www.rewity.com

وتحركت يده التي تحمل السيكارة بنزق، قال غاضباً:

- لا يهم... هل تشبعين فضولي.. فا فاقور (أرجوك)؟

وعضت على شفتها:

- إسمي باتريسيا بالمر. وفي الثانية والعشرين من عمري، وأنا سائحة. كنت أسافر صعوداً في النهر على متن مركب بخاري، عندما التقيت بفتاة تدعى جولي باترسون، وطلبت مني إيصال رسالة موجهة لك إلى الفندق في ميناء سانتياغو ديلاستيرو... والباقي تعرفه... فلماذا تريدني تكرار هذا مرات ومرات في وقت لا تصدق كلمة منه؟

- لأن روايتك سينيوريتا أغفلت تفصيلاً مهماً..

وحدقت به باستغراب:

- لا أظن.. لقد قلت لك بالضبط...

وهز خوليو دي لاكروزا رأسه.

- ما قصّرت في قوله، هو إنك حتى ليلة أمس، كنت «عذراء».

وكان هذا آخر شيء تتوقع سماعه منه. واحترق وجهها بالدم الذي تصاعد حاراً إليه.

- وهل يفترض هذا أن يشكل أي فارق... أو يغير الأمور؟ فهو لم يبدو إنه...

ورمى عقب السيكارة وسحقها بكعب حذاءه.

- بالطبع يشكل فارقاً، أيتها الغبية. إنه يعني.. وليساعدني الله.. إنني كنت مخطئاً بشكل ظالم ومجرم بحقك.. كان يجب أن تقولي لي...

- وكان هذا سيوقفك عند حدك؟

وجاء دوره ليحمرّ خجلاً:

- ربما..

وأطرق، ثم أكمل بصوت منخفض.

- «دايوس» يا إلهي.. وربما لا.. كيف لي أن أعرف؟ ليلة أمس كان جل اهتمامي منصب على حاجتي. لقد عمي نظري عن ملاحظة.. قلة خبرتك الواضحة.

- ولكن ما كان عليك أن تذكري بما حدث. فلماذا هذا الاهتمام الآن؟

ونقلص فكه.

- مارغريتا... الفراش.. كان عليه آثار..

وانتشر احمرار وجهها في كل جسدها وصاحت:

- اوه.. لم ألاحظ هذا... ولكنني لا زلت لا أفهم سبب...

- من الطبيعي أن لا تتردد مارغريتا في مواجهتي بدليل طهارتك.. أو أن تقدمها لي.

فقالت بمرارة:

- هذه شجاعة منها.. ولكن لماذا تحتاج لفعل هذا؟

- لأنها، وكما ادعت على حق، تؤمن أنني قد سلبت شرفك وأنني أفسدتك فلم تعودي لائقة لليلة الزفاف.

- أو ليست هذه نظرة قديمة الطراز؟

- ليس بالنسبة لمارغريتا.. فعائلتها خدمت عائلتي لمدة طويلة وهي تعلم أنني بامتلاكي لك بهذه الطريقة قد سببت بتلطيخ شرف عائلة دي لاكروزا، ولن أستطيع الأنكار... وعندما يهبص مستوى النهر سوف يحضر كاهن من الأرسالية في «سالتا» ليزوجنا.

الفصل الرابع

ساد صمت طويل ثقيل.. وصادم.

وفكرت باتريسيا.. لا بد أنني أحلم.. لا مفر من هذا.. كل ما حدث لي مجرد كابوس. وسأستيقظ لأجد أن كل شيء انتهى. وكل ما علي هو أن أستفيق...

وقالت بصوت مرتفع وبأدب شديد:

ـ هل لك أن تكرر هذا.. أرجوك؟

ورد عليها بنفاذ صبر:

ـ لقد سمعتني جيداً سنيوريتا. لقد أرسلت بطلب الكاهن ليعقد قراننا.

واستوت في جلستها وهي تشد المنشفة على جسدها، وصاحت بجنون:

ـ ولكن لا يمكنك.. لن تستطيع.. هذا مستحيل.

ـ أنا لن أكذب أبداً حول أمر جدّي كهذا.

ـ إذن أنت مجنون.. فاقد العقل تماماً. وهذا ليس بمنزل.. إنه مصح للمجانين.. فالناس لا يتزوجون بعضهم.. هكذا...

ـ ربما ليس في عالمك..

ـ نحن في التسعينات من القرن العشرين.. أليس هذا هو الزمان هنا أيضاً؟ أم أننا في نوع من الزمان المشدود إلى الوراء، يعيدنا إلى القرن الماضي؟

ـ مثل هذه المبادىء قد تبدو غريبة عليك سنيوريتا.. ولكنها مبادىء حقيقية أساسية لي... لقد أغويتك ويجب أن أصلح غلطتي بالطريقة الوحيدة الممكنة.

ـ دعني أفهم هذا جيداً.. لو كنت فعلاً ذلك النوع من النساء الذي ظننتني.. جولي باترسون أخرى... وأنني هنا لمجرد التسلية.. أكنت تتركني وشأني؟

ـ آخر الأمر.. بعد أن انتهي منك.

ـ ولكن لأنك اكتشفت أنك أول رجل في حياتي، فأنت تعرض علي الزواج بسبب إحساس بالشهامة، أليس كذلك؟... حسناً.. لقد تأخرت بإحساسك بالشهامة يا سنيور.. لقد تأخرت أربعاً وعشرين ساعة... ولن أتزوجك ولو زحفت على ركبتيك.

فقال ببرود:

ـ وهذا أمر لن يحدث.

ـ بالطبع.. لذا دعنا ننسى هذا النقاش السخيف إلى الأبد.

ـ ها نحن اتفقنا... بالتأكيد ليس هناك المزيد من النقاش.

وحاولت أن تجد وسيلة أخرى للخلاص:

ـ إذا كنت قلقاً أنني قد أسبب لك فضيحة رسمية حول ما حدث... وأن أتهمك باغتصابي.. أقسم لك أنني لن أفعل... أريد فقط أن أضع كل هذا وراء ظهري، وأنا متأكدة أنك ستفعل مثلي... فلماذا لا تعطيني ثيابي وتتركني أذهب.. وسنتظاهر معاً أن ليلة أمس لم تحدث...؟

وهز رأسه:

ـ هذا.. للأسف.. أمر مستحيل.

ـ ولكن لا لزوم لكل الأمر، إذا كنا كلانا موافقان.. حتى أنني سأكتب لك إقراراً.. إذا رغبت...

وأخشوشنت لهجة دلالة نفاذ صبره:

ـ أنت لا زلت غير فاهمة.. ليلة أمس أخبرتك الحقيقة.. ولكنك لم تصدقيني أيضاً... ليس هناك وسيلة للخروج من هنا سنيوريتا.. فالنهر مرتفع وخطر... والمخاطرة كبيرة.

ـ ولكن إلى متى؟

ـ من يعلم؟ فمن المتوقع إستمرار العاصفة لعدة أيام...

ـ ولا يبدو عليك الأهتمام.

ـ هذا جزء من الحياة اليومية هنا، ونحن قانعون، فلماذا الغضب من شيء لا يمكن تغييره؟

ـ حسناً.. لا أستطيع أن أكون غير مكترثة حول بقائي محتجزة في الأدغال مع.. مغتصب...

وقال لها بغضب:

ـ سوف تتعلمين أن تتكلمي معي باحترام أكثر.

ـ الأفضل أن لا أتكلم معك بالمرة.

ـ وتابع ببرود:

ـ ثم.. لم يكن هناك اغتصاب... وليست ذاكرتك ضعيفة لهذه الدرجة باتروسا.

وعضت على شفتها:

ـ حسن جداً.. سأتقبل أنني عالقة هنا مؤقتاً.. ولكن ما أن يصبح النهر صالحاً للملاحة، فسأذهب.. وأنا أرفض أن أُجبر على الزواج من غريب

كامل بسبب شرف العائلة.. البائد الطراز. فهذه حياتي..

ـ ربما لن تكون مجرد حياتك فقط.. هل فكرت بهذا؟

ـ ماذا تعني؟

ـ وهل أنا مضطر حقاً لأن أشرح لك؟ يمكن أن تكوني حامل. أيتها الغبية.

وبدا لها أن الأنفاس قد انقطعت عن كامل جسدها في شهقة مرعبة واحدة. واستطاعت أن تطلق كلمة واحدة:

ـ لا!...

ـ الأمر ممكن جداً، أؤكد لك... ولفتاة تفخر أن تكون جزءاً من العالم العصري.. أنت ساذجة لأبعد الحدود.

ـ ولكنني لن أعتبر هذا أمراً ممكناً. ولو حدث هذا، فهو لا يعني بالضرورة أن علي أن أتزوجك.

ـ وهل تظنين أنني سأتركك بكل بساطة؟ بعد أن أعرف أنك تحملي طفلي؟ أو أن أسمح لأبني أن يربى في حضن غريب في بلد غريبة؟

ـ ابنك؟ ماذا تعني بحق الجحيم.. ابنك؟ ربما تكون فتاة.. مع أنني لا أظن أن ابنة لك قد ترضي غرورك المتنفخ بنفسك.

وتوقفت عن الكلام فجأة بعد أن لاحظت المسار الذي انقلب إليه الحديث. وصاحت منتحبة:

ـ اوه.. يا إلهي لا أصدق ما يحدث.. لا بد أنني مجنونة بقدر ما أنت مجنون. أنني أتناقش معك حول جنس طفل لا وجود له بعد.

ـ إلى أن ينخفض مستوى النهر سنكون قد عرفنا بوجود طفلنا أم لا على التأكيد.

وأحست بالرعدة تعتمر كل جوارحها.. طفلنا.. يا إلهي منذ ثلاثة أيام لم أكن أعرف بوجود هذا الرجل، والآن، ربما نكون قد تسببنا بتكوين كائن بشري آخر.. فيما بيننا.

لا بد أن يكون هناك وسيلة أخرى غير النهر للخروج من هنا. لقد قرأت مرة أن هذه المجاهل لها اسم آخر، الجحيم الأخضر، ولكن هناك أنواع أخرى من الجحيم قد تكون أسوأ منها، وهي مستعدة أن تخاطر بشق طريقها عبر الغابات بسكين صغيرة بدل الاستلام لما يقترحه عليها.

كل ما تحتاجه، هو أربعة دواليت فوقها محرك، وعندها يمكن لها أن تهرب. ولو تبعت مجرى النهر، فعاجلاً أم آجلاً سوف تصل إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ولكن كذلك سيفعل خوليو دي لاكروزا في اللحاق بها.. فقد أوضح نواياه ومن المستحيل أن يتركها تذهب... وسانتياغو ديلاستيرو ستكون أول مكان يبحث فيه عنها.

لقد ذكر أن هناك إرسالية في «سالتا» وهذا يعني تديّن منتظم واستقرار، ورموز أخلاقية ثابتة.. فإذا ذهبت إلى هناك وطلبت الحماية والملاذ، فلا يمكن أن يرفضوا طلبها.

ولكن هذا مجرد غباء.. وعليها أن تكون متكتمة، وأن تتظاهر بالقبول، وفي نفس الوقت تكون مستعدة لأي إمكانية في الهرب.

وقطع صوته حبل تفكيرها:

ـ لمَ أنت صامتة هكذا؟

ـ كن شاكراً أنني لم أصب بالهستيريا.

نعومة تدريجية معه هي أفضل تصرف تقوم به، على كل قد يرضي هذا غروره الرجولي، وقد يدفعه إلى التخفيف من حذره.

ولكن.. كم ليلة مثل الليلة السابقة، قد تضطر للتحمل؟ وأحست بمعدتها تتقلص..

وظهر على وجهه الألم والتجهم فجأة، فقال:

ـ لن تكوني الوحيدة التي ستقاسي.. لقد قررت منذ زمن طويل أن لا مكان للزواج في حياتي.

ـ ولماذا لا تترك الأمر هكذا إذن؟ فلست بحاجة لأن تفعل شيئاً... وأعدك.. ارجعني إلى حيث كنت وسأكون سعيدة بأن أختفي...

ـ لقد أوضحت لك.. هذا أمر مستحيل! وضعنا هو مثل الأنجراف الأرضي.. صخرة واحدة تنزلق من مكانها، ويبدأ الأنجراف، ويخرج عن السيطرة.. وشكراً لمارغريتا، إنجرافنا توقف لحظة بدئه.

ـ وهل لخادمة كل هذا النفوذ عليك؟

ـ أجل.. في وقت هي جزء من حياتي منذ ولادتي. لقد عينتها والدتي مربية لي. وعندما لم أعد بحاجة إلى مربية أصبحت جاسوسة أمي علي. ويمكن أن تقول لها كل شيء.

وبدت الدهشة عليها:

ـ وهل أمك لا زالت حية؟

ـ ولمَ لا؟

ـ لأن هذا المنزل.. والطريقة التي تعيش فيها.. بالكاد تتوافق مع متطلبات الحياة العائلية العادية... لقد ظننتك وحيداً في هذه الدنيا.

ـ إنني أعيش وكأنني وحيد. ولكن بالأضافة إلى أمي لدي شقيقة.. وشقيق أكبر مني.

ـ ألا تراهم؟

ـ ليس في أوقات متقاربة.

من الواضح أن هناك سر غامض هنا. . . أضف إلى أن خوليو قد يكون الأبن الضال في عائلته، ويعيش في هذا العزل بناء لرغبة عامة.

وكم هذه صورة متكاملة لزوج. . . وتحركت بقلق. . ولكي تنزعج أكثر، انزلقت المنشفة لتكشف عن صدرها، فأسرعت لرفعها. . فدفع كرسيه إلى الوراء ووقف، فأحست بالأنقباض، فقد ظنت إنه سيتقدم من الفراش، ولكنه قال:

ـ سأتركك الآن، وفكري بما قلته لك. وربما تبلغين مارغريتا متى كنت مستعدة لنقل أغراضي. . فهي لا تريد إزعاجك. .

ـ نقل أغراضك؟ لست أفهم.

ـ كزوجة مستقبلية لي، يجب أن تلاقي كل احترام. وهذا أمر محتم. . لذا. . وحتى يوم الزفاف. . سأشغل غرفة أخرى بعيداً عنك.

ـ هذا أمر جدير بالثناء. ولكن أليس متأخراً جداً.

ـ ليس من وجهة نظر عائلتي، أو من يعملون لنا. فلماذا نتسبب بإساءة لا لزوم لها؟

وقالت بمرارة:

ـ فعلاً. . لماذا؟

ـ إلى جانب ذلك، أنا لن أخدع نفسي بأنك قد تكوني مشتاقة لمشاركتي الفراش مرة أخرى.

ـ فعلاً. . وصدقني. وإذا كانت الخادمات ستنقلن ثيابك فبأمكانهن إعادة ثيابي في نفس الوقت.

ـ أتعني تلك الثياب البالية التي وصلت بها؟ أشك في أن تكون موجودة بعد.

ـ أتعني أنهم تخلصوا منها؟ يا إلهي. . لا أصدق. . .

ـ ولمَ لا؟ لم تكن ثياباً أنيقة، ولا حتى مناسبة. وإلى أن أستطيع تدبير الأمر، بإمكانك الأستمرا بالأختيار من هذه الثياب.

ـ لن أفعل. . . !

ـ إذن. . أبقي كما أنت.

وضحك بمرح، وبمعنى، وهو يسمح لنفسه بالتحديق بما انكشف من مفاتنها وهي تعيد لف المنشفة حول جسدها. وتابع:

ـ على كل. . لبست أم بقيت عارية، فأنت لن تذهبي إلى أي مكان.

وقررت أن تفكر، غصباً عنها، بالملابس التي في الخزانة. . . وكأنها ملابس المسرح. . شيء مضطرة أن ترتديه لتمثيل دور عليها أن تقوم بتمثيله. ولكن عليها أن تجد شيئاً أكثر ملائمة إذا كانت ستهرب. . حذاء قوي مثلاً، فهذا من الضرورات، وتقلص جسدها وهي تفكر بكل الدواب الزاحفة التي تختفي تحت الأعشاب الملتصقة بالأرض: الحشرات. . العناكب. . العقارب التي قد تجلب عضتها الموت خلال ساعات. حتى أنها لم تحاول التفكير بالأفاعي.

اوه يا إلهي! لماذا أتيت أصلاً إلى هنا.

وما أن خرجت من غرفة النوم حتى سارعت مارغريتا لاصطحابها بلطف، ولكن بحزم، إلى غرفة الطعام. وكانت رائحة القهوة تعبق في الجو، كذلك رائحة الخبز المخبوز طازجاً. وشاهدت باتريسيا طبقاً من الأناناس المقطع والمانغو. ولم تكن تشعر بالجوع، ولكن لعابها سال في فمها لهذا المنظر. ووجدت نفسها تهاجم الطعام وكأن هذه آخر وجبة ستتناولها. وصبت مارغريتا لها القهوة، وبقيت معها تدفعها لالتهام آخر قطعة خبز مع الزبدة.

وكإنما مارغريتا قد تذكرت فجأة أيام كانت مربية، ورأت في باتريسيا تكليفاً جديداً لها.

وعندما انتهت من الطعام، رافقتها مارغريتا في جولة حول المنزل. ومع أنها لم تفهم سوى القليل مما قالته مارغريتا إلا أنها أوضحت بما لا يقبل الشك أنها تتمنى لها المستقبل الطيب.

وبدا واضحاً أنها لن تُترك لوحدها. وتساءلت بقلق مع نفسها ما إذا كانت مارغريتا تتصرف من تلقاء نفسها أم بناء على تعليمات من خوليو. ربما يكون خطيبها، غير المرغوب فيه، يشك في نيتها الاستجابة لمخططات المستقبل.

إحدى الغرف.. كانت مكتباً. وأدخلتها مارغريتا إليها بفخر.. وحدقت باتريسيا حولها إلى الخرائط على الجدار، وإلى الطاولة الحديثة الفاخرة وعليها الأوراق المرتبة ودفاتر الحسابات، وإلى رفوف الملفات الفولاذية اللامعة، وتساءلت ماذا يعني كل هذا... وماذا يعمل خوليو دي لاكروزا بالضبط كوسيلة للحياة في هذه الزاوية المجهولة من العالم.

السكر.. لقد ذكر شيئاً من هذا، وعن مزارع قصب السكر قبل أن تهبط هذه الصناعة. وربما يحاول أن يعود إلى تعويم هذا الصناعة بمفرده هنا. وقبل أن تستدير لتخرج لاحظت أن جهاز الأرسال موجود هنا أيضاً.. ليس إنه قد يفيدها بشيء، فحتى ولو عرفت كيف تستخدمه، فهناك أمل ضئيل في أن يستجيب لها أحد.

ما عدا شخص واحد.. دايفد دودج.. فآخر ما سُمع عنه إنه في منطقة «سالتا» الجبلية. وقد تكون الأرسالية هناك قد سمعت به. أو تعرف مكان وجوده، فإذا كان الأمر كذلك.. فمن المؤكد أن يساعدها.. كمواطنة أميركية له واقعة في مشكلة.. وخاصة عندما تخبره عن عمته.. أنها قشة أمل هشة، ولكنها تمسكت بها.. فهي لا تملك غيرها.

وانتهت الجولة وأوصلتها مارغريتا إلى غرفة الجلوس. القديمة الطراز، حيث كان بانتظارهما صينية قهوة أخرى تحمل فنجانين. يبدو أن

«الباترون» سيحضر.. وأحست بعقدة تلتوي في معدتها.

ووضعت يدها على معدتها.. فحتى تستطيع أن تكون واثقة من أن هذا الحلم الرديء قد انتهى ولن ينقلب إلى حقيقة أسوأ منه، فسيستمر هذا العذاب وهذا الألم.

وتنهدت بصمت، ومدت يدها إلى إبريق القهوة، وجمدت يدها وهي ترفعه بعد أن أحست أنها لم تعد لوحدها في الغرفة.

ورفعت رأسها لتراه واقفاً عند الباب، ينظر إليها، وعلى وجهه نظرة تجهم، وكأن فكرة غير سارة قد مرت في ذهنه.

إنه لا يرغب، أكثر مما تفعل، في هذا الزواج، لأن يقضي ما تبقى من حياته مع غريبة كاملة عنه، ولأن يعود إلى بيته ليراها ترتاح في غرفة جلوسه.. على كل الأحوال.. حكم بالأشغال الشاقة المؤبدة هو ثمن مرتفع جداً يدفعه ثمن ساعة أو ما يقاربها من التسلية والرغبة. وخاصة وأنها ليست جميلة جداً.

وقطع الغرفة بخطوات مرتاحة واسعة وجلس قبالتها، وأخذ الفنجان الذي قدمته له.

ـ هل أمضيت الصباح سعيدة؟

ـ أجل.. شكرا لك.. لقد أرتني مارغريتا المنزل. لقد كانت لطيفة معي.

ـ ما رأيك به؟

«إنه جميل مؤثر» هذا ما تبادر إلى ذهنها.. ولكن لم تعرف لماذا قالت له:

ـ لقد وجدته مظلماً متجهماً؟

وأقفل حاجباه إلى بعضهما:

ـ لقد كان ملك عائلتي...

ـ أجل.. لقد أخبرتني هذا من قبل. وأنا أحب الشعور بالتقاليد.. لقد تعلمت أهمية الروابط مع الماضي من السيدات العجائز. ولكن هنا الأمر مبالغ فيه. وقد يكون المنزل جميلاً ولكنه غير مؤثر وقابض للنفس. وليس هذا عائد فقط لما يحيط به... ولكنه يبدو وكأنه مهجور... أو.. شيء ما... لا أحد يهتم به.

ـ لم يهتم أحد به لمدة طويلة. ولقد تعجبت عندما وجدته ولم يلتهمه النمل الأبيض عندما وصلت إلى هنا.

ـ ولماذا أتيت إلى هنا؟

ـ كي أزرع قصب السكر. كي أعيد بناء معمل التكرير لأجل من لا يزال يعتني بزراعة القصب. ولكي أعوض عن الدمار الذي يحصل في الغابات في أمكنة أخرى، ولأعيد توازن الطبيعة.. أليس هذا ما يسعى العالم إليه؟

ـ إنه أمر مهم بالطبع.. ولكن هل هذا ما أردته أنت؟

ـ ولماذا هذا السؤال؟

ـ لأنني ظننت أنك ستعطيني سبباً آخر لوجودك هنا... ثم غيرت رأيك.

فابتسم.

ـ أنت دقيقة الملاحظة باتروسا.

ـ لقد أمضيت الكثير من حياتي أصغي إلى ما يقوله الناس.

ـ إشرحي لي هذا، أرجوك؟

ـ السيدات العجائز اللواتي اعتنيت بهن.. السيدة آغنيس مثلاً السيدة آغنيس كانت تشتكي من ألم محدد وتخشى سؤال الأطباء حتى لا تعرف

أن هناك شيئاً خطيراً. ثم السيدة برغنر التي كانت تروي لي دائماً عن نجاح ابنها وتريني صور منزله الفخم، وزوجته الجميلة لتخفي واقع إنه لا يزورها بالمرة.. وهناك الكثير أرويه لك من أمثال هذه... الوحدة.

ـ ومع ذلك فمن الجيد أحياناً أن يكون المرء لوحده.

ـ أوه.. هذا أمر مختلف تماماً.. فهذا ما تختاره بنفسك.. تعزل نفسك أحياناً لتتمكن من التفكير الجدي حول حياتك.. ومن أنت.. وإلى أين أنت سائر.. وأنا أحب هذا.

ـ ومع ذلك لا بد أنك أحسست بالوحدة؟

ـ مثل أي إنسانة.. كما أعتقد.

فابتسم:

ـ وهذا أيضاً ليس ما قصدت قوله، من هم السيدات العجائز اللواتي تكلمت عنهن؟

ـ هن زبائني.. فأنا أعمل لمؤسسة للرعاية الصحية والأجتماعية اشترى أغراضهن، أعتني بصحتهن، أذكرهن بدفع فواتيرهن. وأحياناً أخرج معهن في نزهات، أرافقهن بشكل عام.

وحدق بها خوليو دي لاكروزا باهتمام:

ـ وهكذا أمضيت كل حياتك؟

ـ ولمَ لا؟

ـ لا سبب يمنع.. في الواقع هذا يفسر لي الكثير. ما عدا لماذا اخترت المجيء إلى هنا من بين كل الأمكنة في العالم.

ـ النساء يسافرن لوحدهن في هذه الأيام.. وأنت مثلاً لم توفر مرافقاً لجولي باترسون.

ـ جولي كانت قادرة على الأعتناء بنفسها.. وهي تعمل لشركة سفريات

ناجحة في إسبانيا، وتتحدث الأسبانية بطلاقة. أنت تدفعيني للظن بأنك جئت متوقعة أن أنام معك.

ـ هذا غير صحيح.

ووضعت الفنجان بعنف على الطاولة، فانسكبت القهوة على الصحن وتابعت:

ـ كيف تجرؤ حتى على ذكر...؟

ـ إذن لماذا وافقت عندما قلت لك أنني سأراك فيما بعد؟

ـ أهذا ما عنيت؟ اوه يا إلهي!.. لم أدرك ساعتها...

ـ ألا تتكلمين ولو قليلاً من الأسبانية أيتها الغبية؟

ـ لدي كتيب للجمل. وتدبرت أمري جيداً بواسطته، حتى يوم أمس.

ـ يوم أمس كان نقطة تحول في حياتنا معاً.. حدثيني عن الرجل الذي جئت تبحثين عنه.

لن تفعل هذا، وخاصة إذا كان دايفد دودج في الجوار، وبإمكانه مساعدتها.

ـ أظن أن هذا من شأني.

وسحب نفساً من سيكارته:

ـ ولكنه أصبح من شأني بعد أن توضح لي إنه ليس عشيقك.

ـ ربما لم تتح لنا الفرصة..

ـ وسيبقى الأمر هكذا. فزوجتي لا تفتش عن أي رجل آخر. مهما كانت علاقتهما بريئة.

وردت عليه من بين أسنانها:

ـ ولكنني لست زوجتك.

ـ ليس بعد.. ولكننا أخذنا فرصتنا.

ـ فرصتنا؟ منذ أربع وعشرين ساعة لم تكن تدري حتى بوجودي.

ـ وهل تنظرين إلى الأمر بصعوبة.. سوف يكون لنا الوقت الكافي لتتعرف بشكل أفضل قبل أن يصل الكاهن. أعدك بهذا.

ـ لست أرى في هذا أي طمأنينة لي.

ـ كم هذا مؤسف.

وتقدم منها ليمسك بيدها ويجذبها لتقف:

ـ قولي لمارغريتا أن تحضّر لك ثوباً غير هذا للعشاء الليلة.. فهذا الثوب يزعجني.

وردت عليه بوحشية:

ـ «كي بيناء»، يا للأسف.. هل لديك أية أوامر أخرى تصدرها لي؟

ـ ربما أن تبتسمي قليلاً لي عند عودتي. وهذا...

وجذبها نحوه بسرعة فاجأتها فلم تقاوم.. وقبلها قبلة دافئة لم تترك لها مجالاً للمقاومة. وعندما انتهت القبلة، وقفت جامدة بين ذراعيه، مدوّخة، ومقطوعة الأنفاس، وجسدها كله يرتجف من الأمتعاض. وقالت له بصوت أجش، وقد أخفضت نظرها:

ـ لقد وعدتني...

ـ وسألتزم وعدي.. كانت مجرد قبلة باتروسا. ولتذكيرك أنك من الآن وصاعداً يجب أن لا تفكري برجل آخر.. أنا فقط.. هل فهمتي؟

ـ أجل.

ـ أرجو هذا. آتي لوغو (إلى اللقاء) يا حبيبتي..

وراقبته وهو يخرج، ثم جلست ثانية على الصوفا لأن ساقاها لم تعودا تحملانها. وكان فمها يحترق، وصدرها يعلو ويهبط، وأحست بهشاشته وكأنه لا يزال ملتصقاً بصدره.

«يجب أن لا تفكري برجل آخر.. أنا فقط».

وأخذت الكلمات تعود وترجع صداها في فكرها. وأحست برجفة فجائية، فلفت ذراعيها حول صدرها وكأنها تحمي نفسها.

فقد بدت لها هذه الأوامر، سهلة جداً، خطرة جداً، مهلكة، أن تتبعها.

اوه.. يا إلهي العزيز.. ماذا يحدث لي؟

www.ewiny.com (بلا عنوان)

الفصل الخامس

هطل المطر بغزارة تلك الليلة. وبقيت باتريسيا مستيقظة ومتوترة، وهي تستمع إلى وقع المطر العاصف على السطح.. وأخذت تفكر بالمطر الآن كنعمة بدل أن يكون لعنة.

فطالما المطر ينهمر.. سيبعد هذا الكاهن عن المجيء إلى هنا..

وكما وجدت صعوبة ليلة أمس أن تبتعد من بين ذراعيه، وجدت الآن صعوبة في أن تتخلص من ذكرياتها. ولكنها مضطرة لأن تنسى. فلا مستقبل لها هنا في هذه الأدغال المتوحشة مع غريب.

وحدقت في الظلام.. حسناً.. قد يناسبه المقام هنا، ولكن ليس أنا. ولن تستطيع الانتظار إلى أن تتمكن من الخروج من هنا، لتعود إلى واقعها. وكل ما عليها.. أن تجد طريقة.

فكرة واحدة أبرزت نفسها وهي أن تقنعه بأخذها معه إلى حقول القصب حيث تتم عملية الحصاد. ولهذا فقد حاولت أن تظهر الاهتمام بما يرويه عن مزارعه.

وكانت زيارتها للمزارع مثيرة. فعلى الرغم من أن بين يديه مهمة صعبة

في هذه الأدغال.. إلا أن ما يثير الرضى إنه يمتلك مثل هذا الأهتمام والعطف على البيئة. وبدا لها شخصية أكثر تعقيداً مما تصورت في البداية، ولن تستطيع نسيانه بسهولة.

وبتصميم، أعادت اهتمامها لخطتها.. فعليها أن تحمله على الثقة بها بما يكفي للسماح لها بالذهاب والمجيء تكراراً دون ريبة. وهذه مشكلة، لأن خوليو دي لاكروزا، ليس بالغبي. ولن يقتنع بتظاهر فجائي بالأستسلام.

اليوم التالي كان يوماً جافاً وحاراً، طقس للبرغش، فاضطرت لأن تبتلع حبوباً مضادة للملاريا، ولدهشتها كان خوليو على المائدة في غرفة الطعام عندما دخلت إليها. والرجل الصغير السمين يقف قربه يتحدث إليه، وعرفت بأنه أحد الرجلين الذي أتيا بها.

فسألته وهي تجلس، وتمد يدها إلى وعاء القهوة:

ـ هل تخططان لأختطاف آخر؟

ـ آسف لأن مزاحك ضائع مع بيدرو.. والوضع الذي نتكلم عنه لا يثير الضحك أيضاً. فبعض الحراس أبلغونا أنهم شاهدو «غاريمبيروز» في الجوار.

ـ ومن هم هؤلاء؟

ـ إنهم مغامرون يبحثون عن الذهب والأحجار الكريمة.

ـ ألا يسمح للناس بأن يسعوا وراء حظوظهم على ضفاف النهر؟ كنت أظن أن حلم أي كان أن يجد الذهب.

ـ الكثير منهم مجرمون. ويسعون إلى تهريب ما يجدونه خارج البلاد. ومعهم جوازات سفر مزورة من التشيلي والبيرو وهم عادة مسلحون وخطرون. وإذا كانوا ينشطون في محيطنا فمن حق المزارعين أن يخافوا.

ـ وماذا تفعلون حول هؤلاء الناس؟ أتنظمون حملة «صيد بشر» ضدهم.

ـ لا.. لا أفعل هذا مثلما لا أجرؤ على ركل أفعى نائمة.. فنحن ننظم دوريات، وندعهم يعرفون أننا شاهدناهم، فيحذروا من أن يتقدموا نحونا.. وحياتهم في الأدغال دون طعام أو دواء ملائم، العديد منهم لا يعيش، وأحياناً الغابة تدفعهم للجنون، وغالباً ما يقتلون بعضهم بعضاً.

فتجهم وجه باتريسيا:

ـ هذا فضيع.. ألا يمكن فعل شيء حيال هذا؟

ـ كم تبسطين الأمور.. لقد أتيت من بلاد آمنة وفي ظنك أن بالأمكان تطبيق الحدود على غابات الأمطار هذه... «الجحيم الأخضر».. هل تتصورين أن بإمكانك حراسة الجحيم كما يجري في بلدتك الصغيرة.

ـ إذا كنت تنظر إلى المكان كجحيم فلماذا تعيش هنا؟

ـ هناك أماكن أسوأ من هنا. ثم لدي عمل أقوم به.

ووقف خوليو معتذراً وتبعه بيدرو، وعلى وجه الأثنين علامات التجهم. وتابعت طعامها، لا بد أن هؤلاء «الغارانبيروز» مصدر إزعاج حقيقي.

وخرجت من غرفة الطعام تبحث عنه. ووجدته في المكتب، وما أن أطلت من الباب حتى شاهدته يحشو مسدساً بالرصاص، وهذا أمر لم تشاهده من قبل إلا في الأفلام أو على التلفزيون، ولكن مشاهدته في الواقع ليس له اللمعان الذي للشاشة، فهو يحمل معنى التهديد والشر المشؤوم.

واستدار إليها مبتسماً، ولكن ابتسامته اختفت بعد أن لاحظ تعابير وجهها:

ـ هل هناك شيء خاطيء؟

ـ هل ستستعمل هذه حقاً؟

ـ أجل.. إذا اضطررت.. ألا توافقين؟

ـ حسناً، بالطبع لا أوافق، فأنا أكره أي نوع من العنف.

ـ وهل تظنين أنك لوحدك تكرهين العنف؟ ولكن هناك مواقف لا تعود المثاليات تنفع فيها.. وعلى الواقع أن يتقدم. صدقيني باتروسا، أنا أدافع عن نفسي وعن ممتلكاتي. فلن يأخذ أحد مني ما لست مستعداً لأعطيه.

ـ تبدو وكأنك تحت الحصار.

ـ بعض الأحيان أشعر هكذا. فكل يوم هناك معركة مع البيئة كي أحمي مزارعي من الحشرات والأمراض.. ولأحمي عمالي ضد الأمراض والموت. وهناك ضواري مفترسة في كل مكان، واسوأها الجنس البشري.. ولكنني واثق أنك لم تفتشي عني لمجرد مناقشة الشر والعنف.

وعضت على شفتها:

ـ لا.. لقد أتيت لأسألك كيف تتوقع أن أشغل أوقات فراغي هنا. فأنت وراءك المزرعة ومارغريتا والخدم عليهم الأعتناء بالمنزل، أما أنا فلا شيء أعمله.. وساضجر..

ـ وهل يضجرك أن تراقبي سير العمل في منزلي؟

ـ لم أكن أعلم أن هذا ما يفترض بي أن أفعل... فبعيداً عن حاجز اللغة، فالعناية بمنزلك تبدو ممتازة دون أن أتدخل.

ـ مارغريتا جوهرة. ولكن حتى تتعلمي القليل من الأسبانية، سأزودك بمترجم، فأبن أخ مارغريتا، أماندو، يتكلم بعض الأنكليزية، وسأطلب منه القدوم لنجدتك

ـ هذا سيساعد... ولكن النهار طويل.

فصمت للحظات ثم قال:

ـ لقد جئت ببعض الكتب معي من الخارج، وبعضها إنكليزي. وسوف أطلب وضعها على حدة... ولكن ألا تحيطين؟. أمي تقول أن هناك دائماً أشياء للتصليح.

فردت بمرارة:

ـ أعلم أن هذه قيود زمنية لي... وماذا بعد؟

ـ باستطاعتك أن تعتني بنفسك.. إجعلي نفسك جميلة لعودتي إلى المنزل الليلة.

وأرسلت الفكرة لون الخجل إلى وجنتيها والتوتر إلى صوتها:

ـ أخشى أن لا يكون هذا من عادتي.

ـ ألا ترين حاجة لأن تزينين نفسك لرجلك؟

ـ بصراحة... لا.

ـ هذا مؤسف.. ولكنك ستتعلمي.. وسيكون من دواعي سروري أن أعلمك.

ـ لا تعتمد على هذا.

واستدارت بحدة على عقبيها، وخرجت، وهي تسمع ضحكته خلفها. وذهبت إلى غرفة النوم وصفقت الباب وراءها.. ووجدت أنها ترتجف، وهذا ما أزعجها أكثر..

عندما أرتها مارغريتا المنزل، لاحظت وجود غرفة للخياطة، وأكوام من القماش القطني المطبّع بالألوان الزاهية. وهي تعرف تماماً مقاسها وصنعت بعض الملابس لها من قبل. ومن المؤكد أن تستطيع صنع بعض الأساسيات البسيطة، العملية ولكن غير الفاتنة.

واختارت قماشاً أصفر جميل. ومدته على الأرض. ثم صنعت «باترون» للموديل الذي ترغب فيه وأخذت تقطع القماش بالمقص وهي تصرّ على أسنانها. واستغرقت في عملها إلى أن سمعت دقاً على الباب

وأطلت مارغريتا برأسها:

- آي.. سنيوريتا!

فنظرت إليها متحدية:

- هل هناك شيء؟

فتنهدت مارغريتا وأشارت إليها أن أماندو قد وصل، وتبعتها إلى غرفة المكتبة. خزانة خشبية كبيرة كانت تقف قرب الحائط، وإلى جانبها صبي في حوالي السادسة عشرة. يدير قبعته القش بحياء بين أصابعه، وقال محيياً:

- بوم ديا سنيوريتا (مرحباً سيدتي) الباترون أرسلني لأتكلم عنك.

- أنا شاكرة لك أماندو، ربما يمكنك تعليمي بعض الأسبانية. هل يمكن أن تطلب من عمتك أن تأتي لي بماكنة الخياطة؟

وبدت مارغريتا غير مسرورة من الطلب.. فقد كان من سعادتها أن تصلح الثياب للسنيوريتا، كما قال أماندو، وعلى السنيوريتا أن لا تزعج نفسها بمثل هذه الأمور ومع هذا القماش الرخيص. وردت عليها باتريسيا، عن طريف أماندوا أنها تفضل موديلاتها الخاصة، وأطاعت مارغريتا وهي تحتج.

وأخذت باتريسيا تفتش بين الكتب.. ولدهشتها وجدت كتباً لكتاب كلاسيكيين بالأنكليزية، أمثال ديكنز وهاردي إضافة إلى مجموعة من المؤلفات الحديثة، لم تكن قد قرأت أي منها.

وكان هناك بضع رفوف فارغة في نهاية الغرفة، فرتبت بعض الكتب عليها وأبقت كتاباً جديداً لتقرأه. وساعدها أماندو.. لغته الأنكليزية كانت بدائية جداً، ولكن بدرجة معينة من التصميم والأرادة الطيبة وجدت باتريسيا أن بإمكانهما التخاطب بشكل معقول.

واكتشفت أن آلة الخياطة هي آلة قديمة يدوية، فوضعت الخيوط فيها وبدأت الخياطة، وهي تتبادل الحديث مع أماندو.

نبأ إيجاده عروساً وقرب زواجه كان قد انتشر في كل المنطقة وكأنه النار في الهشيم. وكل المقاطعة كانت تستعد للأحتفال بالزفاف، وأضاف أماندو وهو يبتسم... وأحست باتريسيا بحرارة الخجل.

وكانت تحاول تقرير طول فستانها عندما دخلت مارغريتا عاصفة إلى الغرفة وبعد قليل أعاد أماندو ما كانت تقوله:

- وجدوا رجلاً في الغابة... ومجروح بشكل سيء. مريض جداً.. ربما يموت.. ويقول الباترون أن نحضر فراشاً له.

- هل هو أحد العمال؟

- لا.. غريب.

- اوه.. أحد «الغارانيروز» ربما؟

- ناو سنيوريتا.. سنيور دون خوليو لا يأتي به هنا. على كل.. ساحميك.

وانتفخ صدره. فابتسمت باتريسيا، وقالت بلطف:

- شكراً لك أماندو. هذا ما يطمئنني.

وأسرعت وراء مارغريتا تساعدها، وكانت على وشك الأنتهاء من ملس الغطاء الأبيض عندما دخل خوليو الغرفة والمريض محمول خلفه على نقالة.

- مريض جداً.. ويمكن أن يموت.

لا أحد يستطيع الجدال في هذا القول.. وأحست برعب ممزوج بضعف وهي تراقب نقل الرجل من المحفة إلى السرير.. وكان نحيلاً إلى درجة الهزال، وقذراً، وجرحه البشع ينز بالدم المتقيح عبر شعره المتلبد

في جانب رأسه. وثيابه الممزقة تكشف عن تورمات في ذراعيه وساقيه.

وهي تتقدم منه لتنظر عن قرب إليه، أمسكها خوليو من ذراعها وقال آمراً:

- إرجعي إلى الوراء.. فلديه حمى.

فسألته وهي ترتجف:

- هل سيكون بخير؟

- ربما.. إذهبي الآن. لا يمكنك فعل شيء هنا.. يجب أن أعرف نوع الحمى ونوع الإصابات.

- وهل ستعالجه؟ ولكنك لست طبياً..

- أقرب طبيب هو في سالتا.. مثل أقرب كاهن. وأنا «الباترون» هنا.. وأعتني بكل الناس.. إذهبي الآن، أرجوك.

وأطاعته على مضض.. واستدارت لتتصرف وهي تنظر نظرة أخيرة، وهي تفعل تحرك الرجل، وتمتم بشيء

وللحظة وقفت باتريسيا جامدة تماماً، تتساءل ما إذا كان أحد غيرها قد سمع ما قال، ولكن هذا مستحيل، فخوليو كان يغسل يديه وأماندو يقف عند الباب، بعيداً عن السمع. لذا كانت الوحيدة التي سمعت الرجل يتمتم «الأنذال».

وخرجت من الغرفة وأغلقت الباب وراءها، واستندت إليه، إنه أميركي.. أو إنكليزي. يا إلهي.

وأغمضت عينيها محاولة تذكر صورة دايفد دودج، وما إذا كانت تحمل أي تشابه مع بقايا الأنسان المستلقي في الغرفة.

إنه تقريباً بنفس الطول، وشعره يمكن أن يكون أشقر تحت كل هذا القذر والشحم...

يا إلهي لا تسمح بأن يكون هو، لقد كنت معتمدة عليه للهروب... وهزت كتفيها، وتابعت سيرها على مضض إلى غرفة الخياطة.. وكانت على وشك إنهاء خياطة الفستان عندما دخل خوليو وجلس متعباً على الكرسي المقابل لها. فسألته بقلق ظاهر:

- كيف.. كيف هو؟

- إنه بين يدي ربه، إنه في غيبوبة.

- إذن لا فكرة لديك عمن هو. وكيف وصل إلى هذه الحالة؟

- لدي عدة أفكار، وعندما يستعيد وعيه سوف أطرح عليه بعض الأسئلة.

- إذن تظن إنه سيتحسن؟

- لقد حصل على أفضل معالجة مني. ومارغريتا ممرضة قادرة.

- بإمكاني مساعدتها.

- أشك في أن تسمح لك.

- ولكنني راضية.

- ربما، ولكن ما يهمها أنك إمرأة غير متزوجة وستصدم إذا رأتك تعنين برجل غريب. وأنا أيضاً أفضل أن تبقي بعيدة.

- قد تكون السيد الأمر هنا. والجميع يقفز لخدمتك، ولكنني لا آخذ الأوامر منك، فأنت لا تملكني.

- لم أملكك بعد. ولكنها مسألة وقت قبل أن تقسمي على طاعتي لذا لماذا لا تتحضري لهذا الأمر بتعلم احترام رغباتي؟

- لأنني أقسمت من قبل. أقسمت أن لا أدع أحداً يتسلط علي أبداً.

وتحركت عضلة عند زاوية فمه وقال بصوت هادىء خطر:

- إحفظي لسانك باتروسا.

ـ لماذا؟ ماذا تستطيع فعله لي ولم تفعله بعد؟

ـ أنصحك بأن لا تحاولي المعرفة.

ـ أتهددني؟ لقد هددتني بأسوأ ما يمكن أن يحدث.. الزواج منك. وأعتقد أنك لم تستطع إيجاد أي فتاة تقبل بك طوعاً. ولم تقع في الحب راساً على عقب لتطلب يد أحد... لا.. كان عليك أن تختطفني، وتجبرني على أن أقبل بك بدل طلب فدية.. حسناً دعني أقول لك.. أفضل دفع فدية أياً كانت ولا أن أتزوجك.

ـ هذا أمر مؤسف لكلينا ولكنه لا يغير شيئاً يا باتروسا. مرة أحببت فتاة، بكل ما أستطيع، وضعت حياتي تحت قدميها. حياة آل لاكروزا.

ـ ورفضت كل هذا؟ إنه قصر نظر أن لا تريد أن تكون واحداً من آل دي لاكروزا.

فرد عليها ببرود:

ـ ليس بالضبط يا عزيزتي.. لقد تزوجت شقيقي بدلاً مني. ولهذا سوف أتأكد من عدم حصول نفس الغلطة مرة أخرى.

وبينما جلست باتريسيا بصمت مطبق، مذهول، انحنى لها محيياً، وغادر الغرفة.

الفصل السادس

جلست باتريسيا لفترة طويلة، تحدق أمامها ساهمة، وكلمات خوليو تدور في رأسها. فمهما كانت تتوقع أن تسمع منه، لم يكن ما قاله بالحسبان. وتذكرت كيف إنه عندما ذكر أخاه، تغيرت ملامحه... وبشكل غريب.

هل دفعه هجران تلك الفتاة له إلى هذه العزلة النائية والمحيط الخطر؟ إذا كان كذلك، فلا بد أنه أحبها كثيراً.

وفي نفس الوقت عليها أن تُبقي في ذهنها، أن خوليو وعلى الرغم من تجربته المريرة مع حبه الضائع وتمنعه من التورط الجدي مع أية إمرأة، إلا أن هذا لم يجبره على البقاء دون نساء، وجولي باترسون هي الدليل.

هيا!.. توقفي عن هذا التفكير! ففي لحظات قادمة ستبدأين بالأسى عليه، وأنت بحاجة إلى كل مشاعر العطف لنفسك... فأنت من سيتزوجه... مع علمك أنه لا يهتم البتة فيك!

ورمت الفستان الذي كان تخيطه على ذراع الصوفا إنه الآن بحاجة إلى تمليس، وستطلب من أماندو أن يعطيه للخادمات ليكوينه. عليها أن تختار المزيد من القماش لتخيط فستاناً آخر، ولكنها أحست فجأة، بفقدانها لحماستها.

على كل.. لا بد أن الوقت قد حان للغداء، وقررت أن تذهب رأساً إلى «صالا دو جانتار» أي غرفة الطعام.

ولكن ما أن خرجت إلى الممر، حتى شاهدت مارغريتا تخرج من غرفة المريض تحمل صينية عليها أطباق وملعقة.. وما أن اختفت حتى سارعت باتريسيا لتلقي نظرة عبر الباب المفتوح... وكانت الغرفة فارغة ما عدا من الجسد السجي فوق السرير، يشخر.

وتقدمت باتريسيا بصمت نحوه، ووقفت تنظر إليه.. فتحرك وتمتم ولكن هذه المرة لم تفهم كلماته أو تخمن بأية لغة يتكلم. ولم تستطع أيضاً أن تعرف ما إذا كان هذا الوجه الذي طالت لحيته هو لدايفد دودج أم لا.

ومرت الأيام التالية بسرعة، ووجدت باتريسيا، بذهول، أن حياتها قد بدأت تتعود على نوع محدد من الرتابة. وبمساعدة أماندو تمكنت أن تلعب دوراً مهماً في إدارة البيت. فمارغريتا كانت مشغولة تماماً في رعاية المريض، ولذا كانت ايزابيلا، الطباخة، تجيء إلى باتريسيا لتقرر لها وجبات كل يوم وتتلقى التعليمات منها للخدم.

وبسقوط أول خط دفاع لها وجدت نفسها تتمتع، تقريباً، بمشاركتها في حياة المنزل... فالأعمال المنزلية هو ما تفهمه، وأثارها أن ترى كيف أن الأمور هنا تجري على الرغم من عزلة المكان.

وعلى الرغم من اللحوم المصطادة من الغابة، فإن معظم التموين كان يأتي من «سالتا».. وفي المنزل سقيفة مبردة يخزن فيها اللحم والمواد الغذائية الأخرى القابلة للتلف... أما الكهرباء فتأتي من مولد كهربائي.. وعلى الرغم من وجود تيار في المنزل، إلا أنها لا تستخدم كثيراً فيه. فالقناديل الزيتية توفر معظم الأنارة، والحطب يستخدم كوقود

للطبخ ولتسخين الوعاء النحاسي العملاق، حيث تغسل كل الشراشف البيضاء والثياب.

وقد يبدو هذا بدائياً، ولكنه ناجح، ولا يبدو على أية خادمة الحنين لحياة المدينة أو إلى أي من التقنيات المتمدنة.

ولكن، لن ينفعها أبداً، التعود على هذه الحياة.. أو أن تستقر. فهدفها الأول لا يزال الهرب.

بالنسبة لها، وبطريقته الخاصة، هو بالجمال والخطورة التي لأي حيوان مفترس في قلب الغابة... وكانت باتريسيا أحياناً في وسط الظلام تستيقظ مذعورة لسماع صرخاتهم المخيفة الوحشية من بعيد. وهذا ما يذكرها كم أن هذا المنزل ما هو إلا آخر نقطة من مواقع المدنية في العالم... وكم أن الأدغال تمتد حدودها قريباً جداً، فترتعش.

فتاة أكثر خبرة منها، كانت ستعرف كيف تستفيد من هذا الوضع، ولمصلحتها حتى. ولكن هي لن تستطيع.. إنها تشعر.. مثل... مثل غصن صغير عالق وسط انجراف النهر اللعين، والتيار يدور بها ويدور دافعاً إياها نحو الدمار.

وأعلن لها أماندو بعد أيام:

ـ عمتي ممرضة جيدة.. الرجل لم يعد مريضاً الآن.. يريد طعام.. يريد أن يحلق..

وخفق قلب باتريسيا. خوليو كان قد غادر إلى عمله اليومي، وربما تكون هذه أفضل فرصة لها لكلمة على انفراد مع الغريب.. لو استطاعت إقناع مارغريتا... وقالت له:

ـ هذه أخبار رائعة.. وخاصة أنها تعني أن بإمكان عمتك الآن العودة إلى أعمالها الأخرى، أنطونيو كان هنا، وأظن أن زوجته على وشك الولادة،

وهو يريد المساعدة من مارغريتا.. ربما عليك أن تبلغها.

ولم تكن تكذب تماماً، فأنطونيو، مسؤول العمال في المزرعة، لديه فعلاً زوجة حامل مثقلة، ولها تاريخ في الحمل الفاشل، وهو فعلاً قد زار المنزل، ولكن لسبب مختلف تماماً. وقفز أماندو واقفاً:

ـ سأذهب الآن سنيوريتا!

وسمعت باتريسيا صوت مارغريتا وهي تستجوب أماندو وهما متجهان إلى المطبخ.. هذه فرصتك...

المريض كان يجلس في فراشه، يتناول الحساء، عندما دخلت عليه. فوضع الملعقة من يده وحدق بها باستغراب وسألها بالأسبانية:

ـ من أنت؟

فأجابته بالأنكليزية:

ـ هذا ما أريد أن أسألك؟

وتقدمت إلى السرير تنظر إليه متفرسة.. واستطاعت أن تتعرف إلى دايفد دودج من صور عمته، بعد أن حلق ذقنه ومشط شعره. مع وجود الرباط على جانب رأسه. وقالت:

ـ أنت دايفد دودج.. أليس كذلك؟

وساد الصمت، ثم التوى فمه بسمة اعتذار:

ـ أخبريني أنت.. فلقد تلقيت نوعاً من الصدمة مما يعني أنني لا أستطيع تذكر شيء. وليس لدي أية فكرة عمن أكون أو عما حدث لي.

وصاحت:

ـ اوه.. لا.. لا يمكن.. أنت لا تعني هذا!

ـ أخشى أن يكون هذا صحيحاً. ولكن، هذا مهم لي، ولا أستطيع فهم أهميته لك.

ـ أتعلم أين أنت الآن؟

ـ لقد قيل لي.. يبدو أن هذا المكان منزل صاحب مزارع قصب سكر، وصاحبه من حملني وطببني وأعطاني الحقن في الأيام الماضية. ولكنني عرفت أنه أرجنتيني. وواضح أنك أميركية.

فهزت باتريسيا رأسها؛

ـ لهذا أريد التحدث معك.. لأتأكد. أترى.. أنا محتجزة هنا ضد إرادتي.

واستدار دايفد دودج فوق وسادته وقطب جبينه:

ـ أنت تخدعيني.

ـ لا.. أقسم لك. يجب أن تصدقني. لقد وصلت هنا بالصدفة.. والمالك الآن، خوليو دي لاكروزا، لا يتركني أذهب.

ـ ولمَ لا؟

ـ الأفضل أن لا أخوض في هذا.. وعليك فقط أن تصدقني... كذلك واقع أنك دايفد دودج.

وتناول ملعقة من الحساء أمامه، ثم سألها:

ـ وما يجعلك تعتقدين هذا؟

ـ كنت أعرف.. أعرف عمتك. وتحدثت عنك.. وأرتني بعض صورك.

ـ ألاحظ أنك تستخدمين صيغة الماضي.

ـ أجل.. وأنا آسفة جداً..

ـ وكيف تعرفتي إليها؟

ـ كنت أعمل لدى مؤسسة خدمات، وكانت إحدى زبوناتي. كانت سيدة محبوبة، ولطيفة معي.

ـ لا أشك في كلامك.. ولكنني أخشى، حتى ولو كانت عمتي.. فهي مجرد هوة أخرى في ذاكرتي.. ولا تعني لي شيئاً.

ـ ومع ذلك تتذكر اللغة الأسبانية.

ونظر إليها بحدة:

ـ وماذا تعنين؟

ـ عندما دخلت إلى هنا سألتني من أنا بتلك اللغة.

ـ صحيح؟ حسناً ربما كان هذا مجرد ضوء في الظلام. لأنني لم أفهم كلمة مما كانت تقوله لي تلك المرأة الضخمة، ولحسن الحظ رب البيت يتحدث الأنكليزية بطلاقة. وإلا لكنت في متاهة.

وأحست بخيبة الأمل تهزها:

ـ أجل.. أعتقد هذا.

ـ واضح أن هناك بعثة طبية في مكان يدعى «سالتا» ويقول لاكروزا أنهم سيحضرون لي طبيباً يفحصني، حال أن يهبط مستوى النهر.

ـ وهل قال لك متى تقريباً؟

ـ أظن إنه قال «أمانها» ولست أدري معنى الكلمة.

ـ إنها تعني غداً.. أو أي يوم بعد سنة أو اثنتين. وكنت أسمعها كثيراً على متن المركب. وكنت أعتقد أنك ستغادر هنا حال أن تستعيد عافيتك.

ـ هذا بالضبط ما أريد فعله بالطبع، ولكنهم لن يسمحوا لي وأنا مصاب بفقدان الذاكرة، هل أنت متشوقة كثيراً للخلاص مني؟

ـ أريد الذهاب معك.

ـ حسناً، هذا يسعدني.. آنسة..؟

ـ بالمر.. باتريسيا بالمر.

ـ أوكي.. لقد تعرفنا ببعضنا ولكن هذا لا يعني أن علينا الهرب معاً.

ـ أنا لا أعني هذا. كل ما أريده هو الأبتعاد عن هنا، وبإمكانك

مساعدتي.

ـ في ظروف عادية، ربما.. ولكن حسب ما هي الأمور الآن...

وصمت، وتحول نظره إلى خلفها، نحو الباب. وعلمت من تعابير وجهه ما ستشاهد عندما تستدير.

وكان خوليو يقف بالباب ويداه على وسطه، يبتسم ولكن إستطاعت باتريسيا أن تلاحظ الغضب الدفين على وجهه.. كم سمع يا ترى؟

ـ «بوم ديا» سنيور (نهارك سعيد) أنا سعيد لأعلم أنك أفضل حالاً. وأرى أن «نويفا» قد عرفتك بنفسها وسأل دايفد بعجب؛

ـ «نويفا»؟ لا أفهم...

ـ زوجتي المستقبلية.. أو أنها لم تقل لك؟

ـ أظن أنها كانت على وشك قول هذا. وأتمنى لكما السعادة، بالطبع.

فابتسم خوليو:

ـ وأتمنى لك العافية التامة بسرعة، وعودة الذاكرة الكاملة. إلا إذا كان الماضي غير مهم لك، بالطبع.

ـ ربما يكون هكذا. ولكن، لسوء الحظ، ليس هناك طريقة لأعرف أنه وضع لعين، كما كنت أشرح للآنسة بالمر.

ـ لا أصدق أنها قد تكون متعاطفة معك.. فباتروسا تفضل أن تمحو ماضيها القريب، كما أظن. والآن سنتركك لترتاح.

في الخارج، في الممر، جذبها لتستدير نحوه. وقال بغضب:

ـ هل أتكلم لغتكم بهذه الرداءة؟

وحاولت تحرير نفسها:

ـ ماذا تعني؟

ـ لقد قلت لك أن تبتعدي عنه، ومع ذلك وجدتك في غرفته، لماذا؟

ـ ولماذا لم تخبرني أنك عرفت إنه أميركي؟

ـ لأنني لم أعتقد أن الأمر مهم. . . أم أن المشاركة في الجنسية يشكل نوعاً من القرابة السرية في نظرك؟

ـ من الطبيعي أن أهتم به. كما أنني لم أقابل شخصاً يعاني فقدان الذاكرة من قبل. وأنا واثقة، لو أنني تحدثت معه عن وطننا. . مثلاً. . فقد ينعش هذا ذاكرته.

فرد عليها ببرود:

ـ هذا هو وطنك الآن. وأنا واثق أن ذاكرة مواطنك سوف تعود إليه دون تدخل منك. وهذا الانذار الأخير لك باتروسا. إبتعدي عنه، وإلا فستعانين من غضبي.

فردت عليه ساخرة:

ـ لقد أفزعتني. . .

وتمتم بكلمات من بين أسنانه لم تفهمها، ثم جذبها بين ذراعيه.

ـ هناك طريقة واحدة فقط للتعامل معك.

ـ أتركني. . .

ـ أبداً لن أتركك.

لو أنها تستطيع محو كل شيء من ذاكرتها، وبالتالي محوه من أمام أنظارها. . ولكن لا جدوى. . . مستحيل! فحرارة جسده تلتصق بجسدها أمر لا يمكن تجاهله، وقبلاته عميقة وحساسة، تسحب الأنفاس من رئتيها. وأحست بإثارة تبعث الخجل تحت تسلط أصابعه فوق بشرتها.

واضطرت لأن تتمسك بكتفيه حتى لا تنهار إلى الأرض، وأحست بجسدها كله يرتجف تحت تأثير الرغبة، غير المتوقعة وغير المرحب بها، وهذه المرة، تمكنت من ملاحظة ما يثيره فيها دون خوف، وأحست بجفاف في حلقها. . وقال لها بصوت ناعم عميق:

ـ هل ترغبين بي «كارينا» (حبيبتي).

أفكارها أرادت أن تصرخ بجنون «نعم» اوه نعم، اللعنة عليك! وأنت تعرف هذا. . . ولكن الصوت الوحيد الذي خرج من فمها كان تنهيدة صغيرة منخفضة.

وأسندها خوليو إلى الجدار. وأصابعه تتخلل شعرها، ليجذب رأسها إليه مرة أخرى.

مهما سيطلب. . مهما سيريد منها. . ستعطيه. . لم يعد شيء في الدنيا موجود سوى خوليو. . . وهذا الوعد الغامر بالسعادة.

ولم يعد أي شيء يهمهما أو يحسان بوجوده، إلا أن قطع عليهما النشوة صوت وكأنه السوط:

ـ سنيور!

وكانت مارغريتا تقف على بضع خطوات ووجهها الأسمر مقنع بالغضب:

ـ باستا؟ (مرة أخرى).

وبتنهيدة تركها خوليو، وتراجع عنها. وارتعدت باتريسيا من الأحراج، وتعثرت وهي تسرع نحو غرفتها.

بالتأكيد، لم يعد ذلك المحترم في عيني مربيته. . بل شخص يقوم مرة أخرى بخيانة مفاهيم الشرف لدى عائلته.

ورمت باتريسيا نفسها فوق السرير، ودفنت وجهها المحترق بالدم في الوسادة، وهي تضربها بقبضاتها، تشتعل بالغضب، والكراهية لنفسها ولضعفها.

وبقيت حيث هي لما تبقى من اليوم. . وكم تمنت لو تستطيع طلب العشاء إلى غرفتها. ولكن كبريائها طالبتها بأن تنهض، وأن تستحم وتغير

ملابسها، كما كانت تفعل كل مساء حتى الآن، ويجب أن لا تسمح لخوليو أن يعتقد بأنها تخاف من مواجهته.. لقد ارتكبت خطئاً، ولن تتكرر لحظات الضعف تلك...

عندما وصلت إلى «صالا دو جانتار» وجدت أن دايفد دودج هناك، يصب لنفسه كأس شراب. وحياها قائلاً:

- مرحباً.. أرجوا أن تغفري لي مظهري.. فهذه ملابس مضيفي، وجسده أضخم من جسدي.

- وهل أنت واثق أنك بصحة تسمح لك بترك الفراش لتناول الطعام؟

- أشعر ببعض الأضطراب والترنح.. ولكن ما عدا هذا، أنا بخير. ولا أحب أن أكون معاقاً.

- وهل هذا شيء تذكرته؟

- بالغريزة كما أعتقد. هناك أشياء يمكن لك أن تتذكريها.. هكذا.

- علينا أن نتكلم..

ورفع دايفد يده محذراً:

- ما من مجال يا حلوتي... لقد رأيت أضواء الخطر في عيني صديقك بعد ظهر اليوم. وأنت لم تذكري واقع أنكما مخطوبان.

- لسنا مخطوبان. طلب مني الزواج ورفضت.. وهذه آخر القصة.

- لدي فقدان ذاكرة حبيبتي ولكن عقلي ليس مخرّباً. وهذه ليست الحقيقة الكاملة... ليس بالنسبة له، وأنت تعرفين هذا، وهو ليس من النوع الذي يقبل «لا» كرد.

- وماذا عني؟ ماذا لو كانت «لا» هي الرد الوحيد الذي أملكه؟

- إسبحي مع التيار باتروسا.. هذه نصيحتي. وإذا لم يكن يناسب فكرتك عن «فتى أحلامك» عليك الجلوس والأستمتاع بماله.

- هذا إقتراح مثير للقرف. أريد أن أخرج من هنا، ولا أستطيع هذا لوحدي. ويجب أن أحصل على مساعدة.

- حسناً، لن تحصلي عليها مني. إنه رجل متسلط، ولا أستطيع تحمل إغضابه.. فلدي مشاكلي الخاصة.

- ولكنني واثقة أنك تستطيع فعل شيء ما.. لطالما أخبرتني عمتك عنك. ولا بد أن هناك شيء ما أستطيع فعله كي تتذكر...

- ولماذا؟ ليس عندي سوى كلمتك بأن لي عمة.

- ولكن ليس عليك تصديقي أنا فقط، فلو عدت إلى أميركا لحصلت على دليل من محاميها، فقد تركت لك كل ثروتها.. تقريباً.

- وماذا تعني... بتقريباً؟

- لقد تركت لي بعض المال... لأصرفه على السفر.. وهذا ما ساعدني على المجيء إلى هنا.. كان يفترض أن تكون رحلة العمر.

- مثل هذه الرحلات ليست رخيصة.. لا بد أنها تركت لك الكثير.

- أجل.. مما أصابني بالدهشة أيضاً.

- أنت محظوظة.. إنه استثمار جيد لمالك.. فها أنت على وشك أن تكوني السنيور دي لاكروزا، مع المزيد من المال.

- ولكنني لا أريد هذا.

- إنها مشكلتك إذن يا حلوتي.. لأنني لست أنوي أن أشاركك نواياك.

وسمعت وقع خطوات خوليو في الردهة خارجاً.. وصوته وهو يقول شيئاً بالأسبانية لأحد الخدم، فاجتاحت وجهها مسحة حارة مؤلمة من الخجل.

ودخل خوليو، وصدم قليلاً عندما شاهدهما معاً، وتنقلت نظرته بينهما:

ـ مساء الخير.. أعتذر لتأخري عنكما.

وتناول يد باتريسيا المرتجفة ليرفعها إلى شفتيه:

ـ ولكن، أظن أنكما عندما تسمعان سبب التأخير يا عزيزتي، فسوف تسامحيني. لقد كنت أتحدث بالجهاز اللاسلكي مع «سالتا».

وحدقت به باتريسيا، وقد بدأ قلبها يخفق بحدة واضطراب:

ـ النهر...؟

وأطرق خوليو رأسه:

ـ لقد انخفض أخيراً.. لذا فالأب غوميز سيصل بعد غد.

وابتسم ساخراً ومتحدياً وتابع:

ـ بعد بضع ساعات «كوريدا».. أنت وأنا سنكون زوجين.

الفصل السابع

وحث خوليو باتريسيا على الرد بعد أن طال الصمت:

ـ حسناً؟ أليس عندك ما تقولينه؟

بل هناك الكثير... ولكنها كانت ترتجف في أعماقها وأحست بحنجرتها تضيق حتى على أنفاسها، فكيف بالكلام؟

كل ما أمامها الآن أقل من ثمان وأربعين ساعة كي تحقق عملية هروبها.. وسألته بخشونة:

ـ أليس.. أليس هناك من مخاطرة بعد؟

ـ في الأحوال العادية، ننتظر فترة بعد، ولكن بما أن هناك ضرورة، فهم راغبون في المحاولة.

ـ ضرورة؟

ـ فقدان ذاكرة مواطنك؟

واستدار إلى دايفد دودج:

ـ سوف تكون مسروراً «أميغو» لتعلم أن مساعد طبيب كفؤ سوف يرافق الأب غوميز.. ولا شك، لو أن الأمر ضروري فسوف يحولك إلى المستشفى في سانتافيه.

www.rewity.com

ـ اوه.. أنا واثق أن لا حاجة لهذا... فربما عندما يذهب عني هذا الصداع تماماً، سأبدأ في تذكر الأشياء.

ـ لا أظن أننا يجب ترك أمر هام كهذا للصدف. من المؤسف أنك لا تتذكر ما سبب هذا الجرح في رأسك.

ـ ربما أصبت نفسي بغصن شجرة وأنا أهذي من الحمى.

ـ ربما.. ولكن إذا أمعنت التفكير لأمنت أن هذا الغصن كان في يد أحدهم.

ـ وهل تعني أنني هوجمت؟ ممن؟

ـ هذا شيء ستقوله لي أنت.. ربما.. بعد استعادة ذاكرتك.

وانتشر على وجه دايفد تعبير بشع:

ـ وإلى ماذا تلمّح بحق الجحيم؟

ـ ألمّح فقط إلى أن هناك عدة أسئلة ستبقى دون جواب للأسف، بينما فقدان ذاكرتك مستمر، ولو كنت في مكانك، ووراثي عدو يحاول القضاء علي، فسأحاول معرفة هويته... والآن جاء وقت العشاء.. هل لنا أن نجلس إلى المائدة؟

وكانت وجبة طعام تعيسة.. ووجدت باتريسيا نفسها تدير الطعام في صحنها وهي تحاول التفكير بنوع من الخطط. وما زاد الأمر سوءاً أن خوليو كان يراقبها، ويبدو متمتعاً باضطرابها.

وغاص قلبها عندما أعطى خوليو الأوامر لتقديم القهوة لهم في «صالا دي إيستار» أي غرفة الجلوس، موضحاً في نفس الوقت إنه يتوقع منها أن تصبها بنفسها. وعندما وصلت إلى غرفة الجلوس وجدت الصينية هناك... وكان الأبريق قديم الطراز وثقيل الوزن، ووجدت صعوبة في رفعه دون أن تحرق يدها. وتبعها دايفد ليقف عند الباب ويقول معلقاً:

ـ وعاء جميل.. من الفضة، عمره لا يقل عن مئتي سنة، كما يبدو.

وردت عليه باختصار:

ـ لست أدري.

كانت قد بدأت تلاحظ انشغال باله الدائم بالمال.. وناولته فنجان قهوته... ثم سألته:

ـ متى ستخبر خوليو من أنت؟

ـ لن أخبره. لن أدعي أسم شخص آخر على أساس صورة لم أشاهدها حتى، وقول عن لسان إمرأة قابلتها لتوي... لنفترض أنك مخطئة؟

ـ أنا واثقة أنني لم أخطيء. لقد ذكرت عمتك بالفعل أسم «سالتا» وهي تخبرني عنك، وبالرغم أنهم يقولون أن لكل إنسان شبيه، فلا أعتقد أن شبيهك يمكن أن يكون في نفس المنطقة من مجاهل هذا العالم. ولست أفهم، ظننت أنك قد تسرّ لمعرفتي لك، وأنك ستطمئن لمعرفتك هويتك.

ـ هويتي مجرد لقب.. وإلى أن أعلم برضى كامل إنه اللقب الصحيح فسأكون مسروراً أن لا تعلمي أحداً، وخاصة خطيبك المستبد.. إضافة إلى أنني، وبدماغ فارغ من أية ذاكرة، أجد صعوبة في الأبتهاج بأي شيء.

وأخذ يتجول في الغرفة، يلتقط تمثالاً خشبياً أو طاسة من الخزف، ويحدق ببضع صور على الجدار، معظمها صور رجال يرتدون ثياباً من أزمنة غابرة.. فقال معلقاً.

ـ هؤلاء بعض أسلاف عائلة لاكروزا.. وكلهم ممن شاركوا في سلب الهنود الحمر، وسحق وجوه الفقراء عموماً. ولقد أثروا جيداً من وراء هذا.

وردت عليه بهدوء

ـ ربما لهذا السبب يحاول خوليو إعادة شيء للمزارعين المحليين بتقديم المساعدة لهم ومن ثم إيجاد الأسواق لتصريف إنتاجهم.

ـ لم أكن أعتقد أنك من مؤيديه، ولكن أعتقد أنك بقرب موعد الزفاف قد قررت أخيراً الأستمتاع بكل ما سيقدمه لك.

ـ بالعكس. فما زلت لا أنوي مطلقاً القبول بالزواج، ومع ذلك فأنا معجبة بما يحاول خوليو فعله هنا، والأحترام الذي يكنه المحليون له.

وبدا على دايفد وكأنه يعرف عن عائلة لاكروزا أكثر مما يفصح. ولكن كيف يمكن أن يكون هذا وهو فاقد الذاكرة؟ إلا إذا...

قد يكون هذا هو سبب ردة فعله الغريبة لفكرة العلاج الطبي. فالطبيب ليس من السهل خداعه. وإذا كان يكذب فربما يكون السبب إنه يخفي شيئاً. شيء خطير... ولكن ماذا؟

ودخل خوليو وقال وهو يغلق الباب وراءه:

ـ كم أنتما صامتان.. إثنان من وطن واحد في بلاد غربية.. كنت أتوقع أن أجدكما تتحدثان معاً كالببغاوات.

وقال دايفد:

ـ لقد كنا نتحدث عن زواجكما. ويبدو أن سيدتك تعاني من نرفزة العروسات.

ـ أنا آسف لسماع هذا، ولكن ربما لدي الدواء الشافي...

وتقدم إلى حيث كانت تجلس وقال:

ـ هاك «كواريدا» هدية بمناسبة خطبتنا.

ولمس شيء بارد رقبتها، ووجد له مستقر فوق فرجة صدرها تماماً. ونظرت باتريسيا إليه بعجب، وشفتاها منفرجتان بشهقة صامتة.. إنها تنظر

إلى قلادة.. ماسة وحيدة كبيرة مصقولة على شكل دمعة.. دمعة واحدة من لهيب متجمد معلق في سلسلة ذهبية، ولمستها بطرف أصبع غير مصدق لتتأكد من أنها حقيقية.. ثم قالت بأنفاس مقطوعة:

ـ خوليو.. لا.. لا أستطيع.. أستطيع قبولها. أنها ثمينة جداً.

ـ يسعدني أن أراها ملتصقة بجسدك.. وأتمنى عليك أن تلبسيها دائماً، وهناك أحجار كريمة أخرى سوف أصيغها قرطين لك... ربما بعد ولادة ابننا.

وتعالى اللهيب إلى وجهها، وضغطت على خديها بيديها. وتمتمت محرجة، ونظرت بسرعة إلى دايفد، إلا أنه كان ملهياً عنها يحدق بذهول في القلادة. ثم قال:

ـ يا إلهي أين وجدت مثل هذا الحجر الكريم؟

ـ على أرضي. فالغاريمبيروز لا يحصلون على كل شيء، أؤكد لك يا أميغو. وقد أرسلتها لتصقل في سانتافيه.

ـ رائع.. من فعل هذا كان عمله مذهلاً. مرة في العمر يمكنك الحصول على شيء كهذه. وزوجتك سيدة محظوظة.

وتمتم خوليو:

ـ كم أتمنى أن تشاركك هذا الرأي.

ولم تعد باتريسيا قادرة على الكلام. لو أن خوليو يظن أنه بأمطار الهدايا الثمينة عليها يمكنه إقناعها بزواج دون حب، فهو مخطيء. وستحاول أن تجعله يرى، ولآخر مرة، أن الزواج بينهما مستحيل.

يجب عليه أن يتزوج لأجل الحب، وليس لأجل فكرة سخيفة قديمة الطراز عن شرف العائلة. والفتاة التي سيتزوجها يجب أن تكون مركز الثقل في عالمه، ولا يستحق أن يرضى بأقل من الأفضل.

وتوقفت عن التفكير بعد أن أدركت إلى أي مدى قد ينجرف بها تفكيرها.. وكأنها تحبه.. وكأنما تريده أن يحبها.. هذا غير صحيح.. لا يمكن أن يكون صحيحاً.. لا يمكن...

ولا بد أن صوتاً ما صدر عنها، إذ قال خوليو بحدة:

ـ ما بك؟ هل أنت مريضة؟

فأجبرت نفسها على الابتسام:

ـ أشعر بنفسي مقهورة. مغلوبة على أمري.. هذا كل شيء. ربما تعذرني بالذهاب.

وأحست بعينيه تخرقانها وهي تسير متجهة إلى الباب دون انتظار، واستدارت عند الباب وابتسمت ثانية، ورفعت يدها ملوحة للرجلين وهما يتمنيان لها ليلة طيبة.

وكان الفراش بانتظارها، وقد رفعت الأغطية حتى منتصفه. فخلعت ثيابها وارتدت ثوب النوم، ولكنها لم تقدر أن ترتاح، وأطفأت القنديل ثم أخذت تذرع الغرفة طولاً وعرضاً... في الظلام الدامس...

ما اكتشفته أذهلها تماماً.. لقد أقنعت نفسها مرات ومرات أنها تكره خوليو، حتى أصبح الإيمان بهذا عادة لديها، وبهذا لم تعد تزعج نفسها بتفحص تضارب المشاعر نحوه.

أنا أحبه.. وبحاجة لأن يحبني.. ولأن يشاركني الحياة. ولكن يجب أن تكون المشاركة في حياته بكاملها، وليس بضع أجزاء منها... يوفرها من إحساس بالمسؤولية. أبداً... هذا لن يحدث...

وتنفست عميقاً وهي ترتجف.. لم يعد بإمكانها التظاهر بعدم الاكتراث وهي بين ذراعيه. وعاجلاً أم آجلاً ستقول الكلمات التي يجب أن لا تقال، فتفضح نفسها تماماً.

ولهذا عليها أن تنجو بنفسها.. مهما كان سيؤلمها هذا. فبقاؤها... وحبها له.. دون مبادلتها ذلك الحب.. سيكون نوعاً من الموت البطيء. فالحب غير المتبادل هو أسوأ بكثير من فدية سوداء يمكن أن تستمر في دفعها لما تبقى من حياتها...

ورفعت كتفيها وهي تتنهد، ثم خرجت متوجهة إلى الغرفة التي يشغلها الآن خوليو. ودخلت على نية أن لا تصدر صوتاً، ولكن ما أن فتحت الباب وأصبحت في الداخل حتى رأته جالساً في فراشه، فقال بجفاء:

ـ ماذا تريدين؟

ـ أريد التحدث إليك.

ـ لا يجب أن تكوني هنا باتروسا.. فالوقت متأخر. عودي إلى فراشك. وستتحدث في الصباح.

ـ لا.. الآن أرجوك.

فتنهد، وسمعته يمد يده إلى الثقاب ليضيء المصباح إلى جانبه. فبللت شفتيها بلسانها وقالت:

ـ جئت لأرجوك لآخر مرة أن تدعني أذهب.

ـ وأنت تعرفين ردي مسبقاً.

ـ إستمع إلي... أتوسل إليك. لقد حدثت غلطة.. سوء تفاهم. وهذا كل ما حدث. ولا حاجة لنا لندمر حياتنا معاً بسببها.

ـ أنت تتحدثين عن الدمار... وأنا أتحدث عن الزواج.

ـ وكذلك أنا.. إنما في وقت قادم من الزمن عندما يلتقي أي منا بشخص... قد يحبه.

ـ ولكنني وجدت المرأة التي سأحبها كل حياتي.. وهي لا تريدني.

ـ لأجل الله يا خوليو.. لا يمكننا التوافق، ولا المضي في هذا الأدعاء

الذي لا معنى له. . . ولا بد أنك تدرك إنه أمر مستحيل؟

ـ أنا لا أدعي شيئاً. أنا بحاجة لزوجة على مائدتي. . وامرأة في فراشي. . وأنت توافقين متطلباتي. . ولا أطلب أكثر من هذا.

ـ ولكنني أريد أكثر من هذا من حياتي.

ـ وما نوع الحياة التي كنت تعيشينها قبل أن تجيئي إلى هنا؟ فباعترافك لم تكوني أكثر من خادمة.

ـ ولكن كان لي إستقلاليتي.

ـ إستقلالية؟ غالباً ما تكون هذه الكلمة معنى آخر لكلمة الوحدة أعرف هذا لأنني استخدمت الكلمة بنفسي. ولكن لست بحاجة لأن تكوني وحيدة باتروسا. . فهنا لك مكان مشرّف إلى جانبي. ولدي عملي، وبإمكانك مساعدتي.

وأرادت أن تصرخ به: مكان مشرّف إلى جانبك دون حب. . سيكون الوحدة القاتلة. . أسوأ من أي شيء يمكن لي أن أمر به في حياتي. . . وهزت رأسها وقالت بصوت مرتجف:

ـ سأكون عاجزة. . فأنا حتى لا أتكلم لغتكم.

ـ بإمكانك أن تتعلمي. . بمساعدة أماندو.

ـ لن ينجح الأمر صدقني. . يجب أن تتركني أذهب. . وبما أننا نستطيع الآن استخدام النهر، فلماذا لا تستغني عن بيدرو ليوم واحد ليعيدني إلى سانتياغو ديلاستيرو.

ـ مستحيل.

ـ لا. . لا. . ليس مستحيلاً. أقسم لك أن لا أسبب لك المشاكل. ويمكن لنا أن ننسى كل هذه الأحداث البائسة وراء ظهرنا. . . ونبدأ حياة جديدة.

ـ وكأنما لم يحدث شيء؟ للأسف يا باتروسا، لقد فات الأوان لهذا. إضافة إلى أن محرك المركب قيد التصليح.

ـ اوه. . ولكن لا بد أن هناك وسيلة أخرى للخروج من هنا. فعليك نقل السكر من المصنع و. . .

ـ أنت تتعلقين بقشة. . كواريدا. . ويبدو أنك نسيت شيئاً. . . لا يزال أمامنا أن نعرف ما إذا كنت حاملاً أم لا.

وللحظة، فكرت بأن تكذب، أن تقول له أن لديها برهان قاطع بأنها ليست حامل. . ولكن الكلمات جمدت عند شفتيها. وقالت:

ـ ولكن ماذا بخصوص عائلتك، لا بد أنهم أناس مهمين. فماذا سيقولون عندما يعرفوا أنك تزوجت فتاة ليست بشيء إطلاقاً؟

ـ لا أشك في أن أمي قد أخبرت حتى الآن كل أقاربنا بما أنويه. وكما قلت لك. . أنا مبعد عن عائلتي.

ـ بسبب. . بسبب الفتاة التي أخبرتني عنها؟ زوجة أخيك؟

ـ بسببها، نعم. . يوم ما. . ربما أشرح لك.

ـ لا حاجة لك. . أنا. . أنا أفهم. . .

ـ أشك في هذا. ولكن ليس من المهم أن تفهمي. على الأقل ليس بعد. . . ما يهم الآن أنك ستكوني زوجتي.

ـ وهل سيصلح هذا كل شيء؟

ـ إنه البداية. . أنت ترتدين هوية «كارينا» وهناك مثل يقول «الألماس إلى الأبد».

ـ هكذا يقولون.

ـ تذكري هذا إذن. وصدقيني، باتروسا عندما أقول لك أنني لن أدعك تذهبين.

- إذن . . ليس هناك ما يقال . . آسفة لأزعاجك .

وتنهدت مستديرة على عقبيها، وما أن وصلت إلى الباب حتى ظنت أنها سمعته يناديها، ولكنها لم تتوقف، أو تنظر إلى الخلف .

وبالكاد نامت تلك الليلة، فقد بقيت مستلقية تحدق بالعتمة . محاولة تقرير ما عليها أن تفعل . وأصغت السمع أيضاً على أمل أن تتردد صدى الرعد من جديد منذراً بعاصفة أخرى، انفجار جديد لينابيع الغيوم يرفع مستوى النهر من جديد ليمنع الزوار من سالتا من الوصول إلى هنا .

ولكن لا بد أن هناك طرق للدخول والخروج من هذا المكان، يستخدمها «الكابو كلوس» . . أي سكان الداخل . . كي يجلبوا حاجياتهم للزراعة . ويجب أن تجد لها طريقاً توصلها إلى إحدى تجمعاتهم السكنية، على أمل أن يساعدوها .

ومر يوم آخر حار ورطب، دون إشارة إلى أي مطر قادم . فإذا كانت القدرة الألهية متمثلة بالطقس ليست على استعداد لأنقاذها، فعليها إذن أن تأخذ زمام الأمور بيدها . .

وبدأت تفتش في غرفة القماش والملابس فوجدت بنطلوناً وقميصاً مناسبين، ليسا ما يرتدي في الأدغال ولكن . . المحتاج لا يمكن أن ينتقي ما يشاء . . الحذاء كان مشكلة فليس في خزانة الملابس سوى الأحذية النسائية الرقيقة . . وعليها أن تستعير حذاء يناسب الغابات .

غرفة خوليو كانت فارغة، فهي تعرف أن يوم عمله يبدأ قبل الشروق فدخلت غرفته وفتحت خزانته وأخرجت حذاء جلدياً عالي الساقين يستخدمه عادة . ونفضته من الداخل أولاً لتتأكد من عدم وجود أي حشرات فيه . . وكان لها ساقين طويلين ولكن الحذاء كان لا يزال كبيراً جداً . وكان عليها إرتداء جوزين من الجوارب وأن تحشوه بالأوراق كي يناسب

قدميها . . وأحضرت قبعة كبيرة كذلك . ونظرت إلى منظرها في المرآة . . . ثم خلعت السلسلة الذهبية من رقبتها ووضعتها على الطاولة بقربه . فلن تأخذ معها إلا الأشياء القليلة التي كانت معها عندما وصلت إلى هنا .

ترك القلادة حيث يمكن له أن يجدها فهو تعبير أبلغ من الكلمات بأنها قد ذهبت ولن تعود . . . وكانت تنوي مغادرة الغرفة على الفور، ولكنها وجدت نفسها قرب سريره ويدها تملس التجاويف التى أحدثها رأسه في الوسادة . . . وتكونت على شفتيها كلمات صامتة : يا حبي الوحيد . . . وداعاً .

الفصل الثامن

دايفد دودج كان بانتظار باتريسيا عندما خرجت من غرفة خوليو، ورمقها بنظرة بطيئة متفحصة من الرأس حتى القدمين وهي تقاوم كي تحافظ على هدؤها. وسألها بنعومة ماكرة:

ـ هل تنوين القيام برحلة استكشاف؟

ـ أظن أن هذا من شأني لوحدي.

ـ لا تكوني واثقة هكذا. فالفرص لا تسمح لأي منا أن ينجو من هنا لوحده. والطريقة المتعقلة هي أن نضم جهودنا معاً.

ـ ولكنك لم تكن تريد أن تعرف...

فقاطعها:

ـ ذلك كان من قبل. وهذا.. الآن.. والأمور تتغير.

وأخذها من ذراعها ليقودها إلى «صالا دو ايستار» ويغلق الباب وراءهما:

ـ ما هي خطتك؟

ـ ليس بالشيء الكثير. لقد فكرت باستخدام المركب الذي وصلت إلى هنا فيه. ولكنه معطل.

فقال بحدة:

ـ كم هذا مناسب... زوجك المستقبلي المتعجرف يفكر بكل شيء. والقرب من هذا النذل على بعد مئة ميل حظ سيء، لا شك.

وتصلبت باتريسيا، وجذبت ذراعها من قبضته:

ـ لقد أنقذ حياتك.

ـ لا.. يا حبي.. لقد أنقذني مؤقتاً، وأنا أنوي إنقاذ نفسي بالهروب من هنا. فهذا ليس المكان الآمن للمكوث فيه.

ـ يبدو أن فقدانك الذاكرة قد شفي بسرعة. .هذا إذا كان موجوداً أصلاً.

وهز كتفيه دون اكتراث:

ـ إنها شفاء معجزة، لا أكثر ولا أقل... إذن... دون قارب يعني الذهاب عبر الداخل.. وهذا ما يناسبني أكثر. فعلي أن أحافظ على موعد.

وازداد قلق باتريسيا:

ـ مع من؟

ـ لنقل مع بعض الأصدقاء.

ـ نفس من ضربك على رأسك وتركك؟

وللحظة بدا وجهه بشعاً.. وبجهد كبير استرخى وابتسم:

ـ لا.. لتتفق أن لا نسأل بعضنا الكثير من الأسئلة، موافقة يا حلوتي؟ فهناك القليل تحتاجين لمعرفته عني.

فردت بمرارة:

ـ كنت أظن أنني أعرف الكثير عنك.

ـ بفضل عمتي أفريل كما أعتقد. حسناً، لقد كنت دائماً الولد المفضل لديها، ولطف من العجوز أن تترك لي كل شيء. مع أنني لن أطالب بأرثي في وقت قريب.

www.rewity.com (بلا عنوان)

ونظرت إليه بخيبة أمل:

- ولكن الأملاك بحاجة للعناية، والمحامي تواق لرؤيتك.

- وإن يكن. لن أتخلى عن فرصة لثروة يمكنك فقط أن تحلمي بها مقابل منزل وقليل من الأرض.

- أية ثروة؟

ولامس وجنتها بأصبعه، ومع أنها كانت حركة عادية، إلا أنها أحست بها وكأنها اللسعة:

- ها قد عدت للسؤالات من جديد.. هل سألتك لماذا تهربين من عضو لأحدى السلالات الكبيرة الثرية لآل لاكروزا؟

الصمت منها كان الرد الوحيد... ولكن الفضول تغلب عليها:

- لماذا تدعوهم هكذا.

- لأنهم ممتلؤن يا حبيبتي.. حقيقة. فأحد إسلافهم تنبأ بتقلص صناعة السكر في الأدغال، وغاص في استثمارات أخرى.. ولديهم شركات مناجم للذهب والألمنيوم، إضافة إلى مزارع للبن في أجزاء أخرى من أميركا اللاتينية... لذا أقول لك أن خوليو المستبد هو «لقطة».. حتى ولو أنه يعاني مؤقتاً من صعوبات مالية.

فقالت بحدة:

- لا أظن أن ما يفعله خوليو هنا يعد من «اللقطات».

- آه.. لا بد أنه قد أخفى عنك الكثير. أتظني إنه هنا بمليء إرادته؟ لا يا حلوتي.. هذا نوع من العقاب لأنه أساء لقوانين السلالة. وقصته كانت حديث النهر لسنتين خلتا.. لقد سمعتها في سانتافيه.. ويبدو أن الأمر يتعلق بفتاة.

- أعلم.. لقد تزوجت من شقيقه، وانتهت القصة.

وهز رأسه:

- أهذا ما قاله لك؟ حسناً.. في الواقع هذا نصف القصة، فمن الواضح أن السيد المهيب خوليو كانت ردة فعله عنيفة لهجرانها له إلى رجل آخر.. وفي الواقع ضُبط وهو يحاول فرض نفسه على العروس بعد شهر من الزفاف. وتقاتل مع شقيقه... بمعركة عنيفة... وطرد خوليو من منزل العائلة الكبير، وأرسل إلى هنا لقضاء العقوبة. والله وحده يعرف متى سيسمح له بالعودة إلى حظيرة العائلة من جديد.

وصمت قليلاً، ثم هز كتفيه وتابع:

- ربما يكون سعيه للحصول على زوجة الخطوة الأولى على درب العودة الطويل. وهذا ما يفسر الكثير من تصرفاته معك، فأنت جزء هام من إعادة تأهيله الأخلاقية. أم ظننت إنه وقع في غرامك؟

وأجفلت باتريسيا للهجته الساخرة:

- لا.. لم أظن هذا مطلقاً. ولكنني لست مستعدة لأكون.. عوناً له على إستعادة احترامه.

- وماذا كنت تنوين فعله؟ أن تخرجي من هنا.. هكذا؟ وإلى أي مسافة ستبتعدين؟

فردت باختصار:

- لست غبية لهذه الدرجة.. ولكنني لم أشاهد أية مركبة منذ وصولي إلى هنا، ما عدا «الجيب» الذي يقوده خوليو بنفسه. مع إنني أعتقد أن هناك غيره يستخدمه العمال... وكيف وصلت أنت إلى هنا؟

- لست أذكر.. وهذه حقيقة.

- حسناً.. المكان الأفضل للبحث هو في المزارع، ولكن خوليو هناك. وإذا شاهدنا سوف يرتاب بنا.

ـ هذه ليست مشكلة، فقد عرفت أنه ليس في المزارع اليوم. فهو مشغول في مكان آخر.

ـ وكيف عرفت هذا؟

ـ عليك تصديقي فقط. أتعرفين الطريق للوصول إلى المزارع وكم تبعد؟

ـ ليس بالضبط ولكنني أعرف الطريق التي يسلكها يومياً.

ـ هل يجي العمال كثيراً إلى المنزل؟

ـ عندما يكون خوليو هنا. أو للمعالجة الطبية على يد مارغريتا.

ـ وماذا عن الولد الذي يترجم لك؟

ـ يأتي تقريباً كل يوم.

ـ وكيف يأتي إلى هنا؟

ـ لست أدري.. لم أفكر أبداً أن أسأل.. وكنت أظن أنني لست غبية!

ـ إنسي أمر ادانة نفسك الآن. أتتوقعين وصوله اليوم؟ فبدونه قد نبقى عالقان هنا.

ومرت ساعتان دون ظهور أماندو. ويمضي الوقت زادت أعصاب باتريسيا توتراً. فقد كانت تزداد خوفاً من عودة خوليو فجأة.

واقع أنها ستهرب منه لن يساعده في حل قضيته، ولكنها لن تتحمل أبداً أن تترك نفسها تفكر بالأمر كثيراً. فهو يستغلها، وهذا ما يجب أن تتذكره... إنه يستخدمها لأنها توافق متطلباته.. أما العواطف.. المشاعر.. الأحلام.. فلا مكان لها في حياته، لأن كل هذا ملك لفتاة أخرى.

وأعادت انتباهاً لدايفد، كان مضطرباً وكأنه الحيوان السجين. وبدا متوتراً أكثر منها، والاشتراك معه هو ثاني أمر غير حكيم ستقوم به في

حياتها. فهو مليء بالمشاكل من رأسه حتى أخمص قدميه. ولا شك في تورطه بأمر غير قانوني.

وكانت تفكر بطلب القهوة مرة أخرى عندما دخل أماندو وقال لها قلقاً بإنكليزيته المكسرة:

ـ سنيوريتا.. شيء خطأ.. هناك؟

ـ وهل وصلت لتوك أماندو؟ كيف جئت إلى هنا؟

ـ في شاحنة ابن عمي، كالعادة سنيوريتا.. إذا تأخرت.. آسف.. ولكن..

وقاطعه دايفد

ـ لا يهم.. ألا يزال ابن عمك هنا؟

ـ «سي» سنيور.. هو يتكلم مع مارغريتا.

ـ هذا جيد.. نستطيع التحدث إليه أيضاً.

وأمسك بذراع باتريسيا وقادها نحو الباب، فهمست له:

ـ علي إحضار حقيبتي.

ـ فلتذهب إلى الجحيم.. الشاحنة أكثر أهمية من أشيائك.

وكانت الشاحنة متوقفة وراء سياج الحديقة الخلفية للمطبخ. وكانت فارغة والمفاتيح فيها. فتمتم دايفد:

ـ هذه أول صدفة حظ لنا. أتمنى أن تكوني على معرفة بقيادة هذه الآلة اللعينة.

ـ أجل..

ولدهشتهما، دار المحرك عند أول جهد.. وهما يبتعدان بها لمحت باتريسيا بيدرو يظهر عند الباب الخلفي للمنزل ومارغريتا إلى جانبه.. ولو لم تكن يائسة ومتوترة لضحكت مليء فيها، فقد خلع بيدرو قبعته ورماها إلى الأرض وأخذ يقفز عليها. وقال دايفد:

ـ قودي الشاحنة إلى المزارع. وسوف أفكر بوجهتنا انطلاقاً من هناك.

ـ كان يجب أن تحضر خريطة.

ـ لقد فعلت.. يستطيع خوليو أن يستغني عنها فلديه العشرات منها في مكتبه.

ـ ما كان يجب أن تدخل إلى هناك.. إنه مكان شخصي...

فضحك بسخرية:

ـ وما رأيك..؟ بالتأكيد لم أستطع ترك جهاز الأرسال له ليلاحقنا به!

ـ وهل خرّبته؟ ولكن المنطقة كلها تعتمد عليه. افترض أنه حصل طارىء ما؟

ـ ضروريات تأتي بالدرجة الأولى. أتظنين أنني قد اهتم بما يحدث لحفنة من زراع قصب السكر ولسيدهم المبجل؟ نحن لا نلعب يا حبيبتي!

ـ لا تناديني هكذا.

ـ وما الأسم الذي تختارينه.. باتروسا؟

ـ لا..

فضحك:

ـ لو لم أكن أعرفك سنيوريتا لقلت أنك غارقة بحب ذلك الأبن الضال لعائلة لاكروزا.

ـ اوه.. دعني وشأني.. أنت لا تريد أن أسألك، وكذلك لا أريد أن أسمع وجهات نظرك.

ـ كما تشائين.

وبدا إنهما يختفيان في وسط نفق واسع أخضر. وأحست أنها لو نظرت إلى خلفها فستجد أن الغابة قد أطبقت عليهما من الخلف، لتستوعبهما في عالمها من الأشجار الضخمة الطويلة... بحيث يضيعان إلى

الأبد... ولكن طالما هي تتبع مسار النهر فلن تضيع أبداً.

وأحست بالراحة عندما لاحظت خطاً رفيعاً من الدخان يتصاعد فوق الأشجار، وعلمت أنهما يقتربان من بعض المنازل. وكان المجمع السكني حيث يسكن العمال أكبر مما تصورت. وكانت النساء تقفن عند أبواب الأكواخ والأطفال يلعبون بين أقدامهن. وعندما شاهد الأطفال الشاحنة أخذوا يصيحون ويقفزون فقال لها دايفد:

ـ إستمري في السير لا تبطئي من سرعتك.

ـ أظنك تريدني أن أسير فوقهم. لم أكن أدرك أننا سنسترعي الأنتباه هكذا، وسوف يبلغون خوليو الآن بوجهتنا.

وهز دايفد كتفيه:

ـ حتى ذلك الوقت نكون قد ابتعدنا عن مناله.

ونظرت إليه باهتمام:

ـ أتظن أن «الكابوكلزر» لن يتمكنوا من اختفاء أثرنا؟

ـ ليس أبعد من حدود المطار.. إلا إذا كانت لديهم أجنحة.

ـ أتعني أننا سنطير من هنا؟ ولكن هذا مستحيل... لا شيء يحط أو يطير من هنا.

فابتسم:

ـ إنها رحلة مجدولة بموعد مسبق.. ونفس الطائرة كانت توصلني وتأخذني من هنا منذ وقت طويل.

ـ للتفتيش عن الذهب؟

ـ لقد جربت هذا لفترة، ولكنه عمل شاق. وأنا الآن أعمل كوسيط.

ومسحت عيناها:

ـ وهل أنت متورط مع «الغاريمبيروز».. المغامرون غير القانونيون؟

لقد أخبرني خوليو عنهم، وحذرني منهم.

فضحك ثانية:

ـ أنا واثق إنه فعل.. ولكن تحت سمعتهم، هم رجال عاديون يحاولون جني الثروة.. وأنا أشتري الأحجار الكريمة الخام منهم. وآخذها إلى قاعدتي في سانتافيه.

وصمت للحظات.. وعندما عاد إلى الكلام كان صوته رقيقاً، وكأنه صوت العاشق:

ـ ليس لديك فكرة عما تفعله تلك الأحجار بالأنسان.. لقد مر على أحجار جشت بحجم يدك... وأحجار توباز بحجم البرتقالة أو يداخلها الدخان وكأنه الضباب، والماس، صافية كالماء... وكانت الأفضل وكأنها المرايا لروح الإنسان.

ـ هذا شاعري. وأظن أن هؤلاء الرجال البسطاء هم من جرحوك وتركوك مريضاً بالملاريا.

ـ إنه اختلاف صغير على العمولة. وهذه الأمور تحدث، حتى في أحسن الأوساط. ولكنها تعني للأسف، أن عملي هنا قد شارف على نهايته.. وسأغادر هنا إلى الأبد.. سأذهب إلى «تشيلي» وهذا ما أحبه في أميركا الجنوبية، فيها العديد من البلدان، والعديد من الفرص.. أمام «المقاولين».

ـ أهكذا ترى نفسك؟ كنت أظن أن كلمة «مهرب» هي الأفضل.

ـ لك لسان لاذع يا حبيبتي. أنصحك بأن تكوني حذرة في استعماله. فمن أعمل معهم ليس لديهم روح مرحة.

وظهر أمام الشاحنة فجأة رجل يلوح بيديه.. فصاح بها:

ـ لا تتوقفي!

ونظرت إليه نظرة احتقار، وداست على المكابح بحدة.. وكان الرجل هو انطونيو، المسؤول عن العمال، وما أن فتح باب الشاحنة حتى أندفع سيل من الأسبانية من فمه.. فقاطعته باتريسيا:

ـ نو بيرسيبو.. آسفة، لا أفهم ما تقول،

فقال لها دايفد:

ـ يقول أن زوجته ستلد الآن. قولي له أننا سنرسل له سيكاراً. وحركي هذه الشاحنة اللعينة.

ـ ولكن هذا يعني آنابيلا! اوه.. يا إلهي، لهذا السبب جاء يدرو إلى المنزل.. ليحضر مارغريتا.. لأجل ولادة الطفل.

ـ هؤلاء الناس يفقصون كالذباب.. فما سبب كل هذا الأهتمام؟

برودته أغضبتها

ـ أطفالها كلهم ماتوا وهي تلدهم.. لذا تحتاج إلى مارغريتا.. إنها «قابلة» جيدة. ولو لم نأخذ الشاحنة لكانت هنا الآن، تعتني بانابيلا..

ـ أنت تؤلمين قلبي.. تحركي الآن.

ـ لن أفعل.. فهناك حياة طفل في خطر وانطونيو رجل طيب.. أكثر عمال خوليو أهل للثقة. وهو يستاهل أفضل عناية بزوجته وسأعود إلى المنزل لأحضر مارغريتا.

ـ اوه.. لا.. لن تفعلي هذا. لقد علمت أنك ستسببين المشاكل لذا أخذت معي رهينة.. لذا تابعي رحلتك.

وأخرج من جيبة قميصه قلادة الألماس، وأظهرها لها وضربت أشعة الشمس عليها لتحولها إلى قطعة من نار.. فأحست باتريسيا بضيق تنفسها:

ـ من أين حصلت على هذه؟

ـ لاحظت أنك لا ترتديها ففتشت عنها. وسميها أجرة طائرتك للخروج من هنا.

ـ لن استقل أية طائرة. ولن أسافر متراً واحداً معك. أنت الآن وشأنك.. وأنا شاكرة لله أن عمتك لن تعرف ما أنت عليه.

ـ وفري عواطفك.. أبقي هنا والعبي دور «دونّادي كانسا» السيدة المنقذة.. إذا كان هذا ما تريدين.. ولكنني سأبقي الماسة خوليو.. وأظن أنك مدينة لي بها، بدل المال الذي سلبتيه من عمتي أفريل، أيتها العاهرة.

واندفع نحوها، ليرميها من باب الشاحنة المفتوح، ثم ضربها على وجهها بيده، فصعقها الألم، وأحست بطعم الدم في فمها ثم فقدت توازنها ووقعت إلى الخلف، وأمسكت بها يدان قويتان وسمعت صوت انطونيو يصيح:

ـ سينوريتا.. ميوديو... يا إلهي.. سنيوريتا باتروسا!

ووجدت نفسها ملقية على الأرض والشاحنة تبتعد بدائيد وأنطونيو يجري خلفها يلوح بقبضتيه ويصيح، فناداته بأعلى صوتها:

ـ «فيني كا» أنطونيو.. إرجع إلى هنا.

وأطاعها بمضض ظاهر.. وبدا عليه الضياع بين قلقه عليها وقلقه على أنابيلا... وسألها وهو ينظر من حوله وكأنه يبحث عن شيء:

ـ مارغريتا؟

ـ «ديسكولب» انطونيو.. ليس هنا.

وبدا عليه أنه على وشك البكاء.. فوضعت يدها على ذراعه.

ـ سنرسل أحداً يجيء بها.. «اوندي» أنابيلا؟

وكان لأنطونيو أكبر منزل في المجمع السكني، وأثاثه بسيط ونظيف

جداً. وكانت أنابيلا في السرير في الغرفة الداخلية، تتلوى من جانب إلى آخر، متأوهة من بين أنفاسها، وإمرأة مسنّة تجلس في زاوية الغرفة تدمدم شيئاً بدا وكأنه التعاويذ، وفتاتان شابتان تقفان قرب السرير بعجز واضح.

وحدق الجميع بباتريسيا وهي تدخل، فحاولت الأبتسام لتطمئن المرأة الحامل.. وكان انطونيو قد أدار سيارة جيب قديمة وانطلق نحو المنزل الكبير، مع أن باتريسيا واثقة أن بيدرو ومارغريتا قد بدأ الآن السيرنحوهم.

ومن الغريب أن وجودها كان له تأثير مهدىء، فقد توقفت أنابيلا عن التلوي، وأمسكت بيد باتريسيا، وكأنها حبل السلامة، وتذكرت باتريسيا أنهم يطلبون دوماً ماء ساخناً في مثل هذه الحالات.. فقالت للنساء «اكوا» فوقفت العجوز بسرعة وعادت بوعاء من الماء البارد.

حسناً.. أهذا أفضل من لا شيء، وغمست منديلها النظيف في الماء وأخذت تمسح فم أنابيلا به، وكانت المرأة خائفة جداً.. وجسدها المنتفخ مبتل بالعرق، وتنفسها غير منتظم.

فانحنت فوقها، تضغط برفق على أصابعها وهمست:

ـ كل شيء سيكون على ما يرام أنابيلا.. سوف ترزقين بصبي.. صبي كبير ممتلىء الصحة.. ستكونين بخير.

وتابعت كلامها برقة محافظة على رتابة صوتها، وكأنها تنومها مغناطيسياً. وبدأت حرارة الغرفة تشتد، وبدأت تشعر بقطرات العرق تتساقط على أنفها، وتجري على صدرها وكتفيها.. وتراجعت النساء الأخريات إلى الباب ووقفن يراقبن.. بحيث كانت مع أنابيلا لوحدهما تقريباً.

وتأوهت أنابيلا ثم صرخت وأخذت تتلوى.. فمسحت جبينها مهدئة وهي تقول:

- لا بأس.. سوف تحضر مارغريتا فوراً.. لن تتأخر.

وبالطبع لم تفهم أنابيلا ما كانت تقوله.. ولاحظت أن مرحلة أخرى من مخاض المرأة قد بدأ.. وحاولت أن تتذكر، يائسة، كل ما عرفته من أختها وأمها، وتمنت لو أنها أصغت إليهما أكثر.

واشتدت قبضة يد أنابيلا على يدها.. وحاولت أن تجلس وبرزت الشرايين من جبهتها.. اوه يا إلهي.. الطفل سيولد... الآن! ماذا أفعل..؟

والتفتت إلى النساء عند الباب وقالت بحدة؛

- كم أنتما مساعدات.. «فيناساء».

ولكنها توقفت عن الكلام، فقد صدر عن أنابيلا صرخة وكأنها الزمجرة، نصف صرخة ألم ونصف صرخة انتصار... وتحركت باتريسيا بسرعة وخوف إلى أسفل السرير.. في الوقت المناسب لتلتقط الطفل... أحمر.. متزلق.. وصبي.. بين يديها.

واستلقى الطفل بين يديها للحظات يلوح بيديه ورجليه وكأنه يفتش عن دفء وأمان أحشاء أمه، ثم فتح فمه وصرخ، وملأت صرخة الغضب الغرفة كلها.

والدموع تنهمر من عينيها، مسحت له باتريسيا فمه وأنفه، ثم وضعته بين ذراعي أنابيلا.

وسمعت ضجة في الغرفة الخارجية، ودخلت مارغريتا وأنطونيو خلفها.. وتفرست في الفتاة الشاحبة المستلقية في السرير ووجهها رغم شحوبه مضاء بالسعادة وهي تعطي ابنها ثديها. ثم لاحظت مارغريتا وجود باتريسيا، فأفلتت منها شهقة فزع. وبدأت تلقي سيلاً من الأوامر والكلمات التي لم تفهمها، وأطاعت العجوز وهي تخرجها من الغرفة، لتتولى زمام الأمور بنفسها.

وأقبل أماندو إلى جانبها ووجهه مرتبك:

- سنيوريتا.. أنت هنا... الباترون.. إنه يظن أنك هربت... وتبعك.. يفتش مع الكثير من الجنود.

وقالت بلطف:

- لا بأس أماندو.. أنا سالمة.. كما ترى.

وبعد قليل أقبل أنطونيو إليها، يبتسم بفخر.. وأخذ يدها ليقبلها، وانفجر في كلام عاطفي لم تفهمه. وترجمه لها أماندو:

- إنه يشكرك سنيوريتا لسلامة ابنه.. وكذلك ستفعل أنابيلا... لو دخلت إليها.

- ولكنني لم أفعل شيئاً.. كنت إلى جانبها.. فقط.

ورافقها أنطونيو مجدداً إلى الغرفة الداخلية، وكانت أنابيلا تهدهد الطفل بين ذراعيها، ووجهها ملىء بالحب. وهمست وهي ترفع اللفافة لها:

- اوبريغادا سنيورا.. (ممتنة جداً).

وحدقت باتريسيا بوجه الطفل الغاضب.. ومدت أصبعها وأحست باليد الصغيرة الرقيقة تمسك به بشدة. وفي تلك اللحظة بالذات، علمت، وبالغريزة، ودون أي سؤال.. أو شك... أنها تحمل طفل خوليو داخلها. وضاق تنفسها بشكل لم تستطع السيطرة عليه.

ماذا يمكن لي أن أفعل؟

يا إلهي.. ما أستطيع أن أفعل؟

الفصل التاسع

التزمت باتريسيا الصمت في طريق عودتها إلى المنزل في سيارة الجيب. كذلك مرافقوها، فسعادتهم بسلامة مولود أنطونيو غلب عليها قلقهم على خوليو.

مع أنها غطت نفسها إلى درجة ما بتصرفها السريع كقابلة لأنابيلا، إلا أنها كانت تشعر بالخزي لمساعدتها دايفد دودج على الهرب... «ذلك الحقير» كما قال عنه أماندو، وبذلك عرضت خوليو لخطر ملاحقته في الأدغال.

وهو الآن في خطر الوقوع بين نارين لأطراف الحرب القائمة منذ شهور بين الغاريمبيروز، والمتعاملين بالمهربات الأثرياء في سانتافيه، الحرب التي جُرح فيها دايفد دودج، والكثير مات، والتي صممت السلطات العسكرية أن تضع لها حداً، مع كل عمليات التهريب وعصاباته.

ولكي ينقذ نفسه كان «الأميركانو» سيتكلم.. كما قال لها أماندو، وكان سيأخذ الجنود إلى مخابيء الغاريمبيروز السرية، وإلى مدارج هبوط الطائرات في الأدغال. أما الآن وقد نجا.. فسوف يحذر رفاقه... الكومبادري.. في كلا المعسكرين. لذا فستتغير خطتهم.. وستستمر الحرب وسيقع المزيد من القتلى. وقالت باتريسيا مدافعة عن نفسها:

- ولكنني لم أستطع منعه من سرقة الشاحنة.

- بيدرو كان يقدر... ولكن وجودك سنيوريتا.. منعه من استخدام بندقيته.

وكان المنزل صامتاً أيضاً، ومهجوراً بشكل غريب، ولم تكن الخادمات يغنين وهن يعملن، ولم يكن يصدر عن المطبخ أصوات الضحكات والحديث الذي أصبحت معتادة عليه.

ودخلت غرفة خوليو، وجلست على حافة السرير.. كل هذا بسبب غلطة.. فمن أثر رغبة عصفت في ليلة، قد يأتي طفل ربما لن يعرف أباه. هذه مهزلة مأساوية منذ البداية. كوميديا من الأخطاء انقلبت فجأة إلى «ميلودراما» وهي الآن تتجه نحو المأساة.

ورفعت رأسها إلى السماء، ويداها مشبوكتان على صدرها:

- إرجعه لي... أرجوك يا إلهي.. أرجعه لي سالماً.. وسأكون له حسب أي شروط يختارها.

وتسللت إلى السرير، ودفنت وجهها في الوسادة، تسعى إلى أي شيء يذكرها به، بقايا رائحة جسده، أو ماء الكولونيا التي يستخدمها... ولكنها لم تجد شيئاً، حتى الراحة.

وبقيت كما هي متكورة، وكأنها حيوان صغير يسعى إلى الأمان، ومرت الدقائق، والساعات، وغطت في النوم.

واستفاقت مرعوبة من كابوس مر في حلمها، وجسدها كله مبلل بالعرق. فجلست ترتجف... وشاهدت، في ضوء النهار الذي أخذ يتلاشى، خوليو يراقبها من الباب.

وللحظات بدت أنها لن تنتهي، حدقا ببعضهما بصمت. ثم قال بهدوء:

ـ لماذا عدتي؟

وببطء أرجعت شعرها عن وجهها.. وقالت:

ـ أنا.. أنا لم أهرب في الحقيقة. ألم يقولوا لك؟ وصلت إلى المجمّع السكني.. وكانت أنابيلا تلد.. فبقيت. سوف يسمونه باتروس، ليتشابه مع إسمي.

وحرك يده، وهو يعبس وكأنه يتألم:

ـ لقد ذهبت.. ذهبت معه، مع «الأميركانو» القذر. سرق الشاحنة وأخذك معه.

ـ هذه كانت النية أصلاً.. أجل.

ـ ما إسمه؟ كنت تعرفينه أليس كذلك باتروسا؟

كنت تعرفينه...

ـ أجل.. بطريقة ما. إسمه دايفد دودج.. أخبرني.. لقد استخدمت صيغة الماضي.. هل.. هو؟

ـ أجل لقد مات.. أصيب بالرصاص.

ـ هل أنت من قتله؟

ـ لا.. لقد قتل وهو يركض نحو طائرة.. شخص ما على متنها أطلق عليه الرصاص من رشاش... يبدو أنهم المهربون. فلم يعد لهم حاجة به.

ـ فهمت...

وتذكرت صورة الشاب الجميل بقرب عمته، فاختنقت بالدموع. فقال لها بصوت رقيق، وكأنه صوت من بعيد:

ـ قلت لي مرة أنك جئت بحثاً عن رجل.. هل هذا هو.. الأميركانو؟

ـ أجل.. ولكنك لن تفهم...

ـ وماذا هناك لأفهم؟

ـ الكثير.

وكم كانت سخافة لتعيد القصة.. ثم قالت:

ـ أرأيت.. أنا لم أعرفه حقيقة.

ـ ومع إنه كاذب ومجرم فقد اهتممت كثيراً بمساعدته على الهرب. لقد وثقت على حياتك معه...

ـ كان يفترض به أن يساعدني.. ولكن كل شيء سار بطريقة خاطئة. وكان علي أن أعرف أنه خطر، ولا يوثق به.. ولكن يبدو أنني رغبت في إطالة عمر الوهم قليلاً.

فابتسم:

ـ آه.. الوهم.. هذا يا كواريدا ما أفهمه.. فقد عانيت منه بنفسي. ولكنني لم أعد. غداً عندما تصل المركب من سالتا، سأعيدك مع الأب غوميز، وسيوصلك إلى سانتافيه سالمة أو إلى حيث تشائين.

ـ وهل ستتركني أذهب؟ لماذا؟

ـ لأنني، وكما قلت بنفسك أكثر من مرة، ليس لي الحق بأن أبقيك هنا رغم إرادتك.. وبما أنك كنت على استعداد للهرب مع رجل آخر، فلا أظن أن عائلتي، ومن هم في بيتي، يعتبرون أنني ملتزم تجاهك بعد الآن.

ـ ولكن الأمر ليس هكذا. خوليو.. أرجوك أن تصغي إلي...

ووقفت.. فنظر إليها وهو يهز رأسه:

ـ لا.. لقد سمعت الكفاية. وهذا بالفعل هو عالم اليوم بجشعه وعنفه. ومن السخف محاولة العيش حسب تقاليد الماضي. أو محاولة.. كما قلت.. إطالة أمد الوهم... لذا فأنت حرة.

ـ خوليو.. أرجوك لا تفعل هذا..

ـ وهل هناك شيء يمنع؟ هل أنت خائفة أن أدعك تذهبين خالية الوفاض؟ لا «كارينا» لا تخافي.

ومد لها يده:

ـ هذه سوف تغطي لك كل المصاريف... وقلة الراحة التي مررت بها..

وتقدمت منه بسرعة، وهي تبحث بيأس في وجهه عن الابتسامة.. حتى ولو في عينيه، وقالت:

ـ لا أريد شيئاً خوليو.. ما عدا أن تصغي إلي وتصدقني.

ـ ولكن يجب أن تأخذي هذه.. إنها لك.. إنها الهدية التي صنعتها لك.

وشاهدت باتريسيا لمعان الألماسة البارد في راحة يده... وتابع قائلاً:

ـ ضابط الجيش وجدها مع الأميركانو... واقترح عليك لو كنت راغبة في إهدائها لأحد مرة أخرى، أن تجدي من يستحقها.

آخر كلمات قالها كانت مرتجفة، وشهق قليلاً، فانفرجت شفتاها رعباً وهي تشاهد ساقي خوليو تنهاران، وبدأ ينزلق إلى الأسفل ببطء، إلى أكرة الباب، إلى الحاجب، ثم إلى الأرض، ليتمدد هناك. وانزلقت السترة عن كتفه، وبصدمة لا توصف، لاحظت بقع دم سوداء تنتشر على قميصه.

وبدأت تلوّح برأسها من جانب إلى آخر برفض صامت لحقيقة ما تراه، وتهمس باسمه... وعندها وصلت مارغريتا وبيدرو والآخرون، وعندها فقط أدركت أنها كانت تصرخ.

ـ الرصاصة في الكتف سنيوريتا، ويجب أن نخرجها. يجب أن نسرع سنيوريتا.. دون خوليو يفقد كثيراً من الدم.

ـ إذن الأفضل أن نبدأ...

وتقدمت حيث وضعه الخدم فوق السرير وقال أماندو بصوت منخفض بقربها:

ـ إنه يقول، لا، لبيدرو، لا لمارغريتا.. وضعه سيء.. لقد قاتل طوال حياته.. والآن لا.. لم يعد يقاتل.

وصاحت باتريسيا بشراسة:

ـ سنرى... أخرج الجميع من هنا ما عدا بيدرو ومارغريتا.

وجلست على حافة السرير، ووضعت فمها على أذنه وقالت له هامسة:

ـ سوف تقاتل.. أتسمعني؟ لن تستسلم.. فالكثير يعتمد عليك، والعديد من الناس. تقول أنك تريد طردي من هنا.. حسناً.. بإمكانك أن تقول لي هذا مرة أخرى عندما تستعيد قوتك. فحتى ذلك الوقت أنا باقية، وأنا من سيتخذ القرار.

وفُتحت العينان السوداوان، وقال بصوت مختنق:

ـ ناو.. ناو.. باستا.. بودو آر. (يكفي.. أخرجي من هنا).

فردت عليه بثبات:

ـ لن يذهب أحد من هنا.

ونظرت إلى بيدرو وأشارت إليه بالتقدم، ولمحت النصل الفولاذي الساخن في يده.. فشدت على أعصابها.

وتراجع خوليو في الفراش، مبتعداً عن بيدرو.. ولكنه انهار ثانية وهو يتأوه «ناو».. وقال أماندو:

ـ سنيورا.. باترون لا يتحرك.. يجب أن تمسكيه جيداً لبيدرو.

ومع ضعفه، فقد كان أقوى منها بكثير.. وكان الجميع يراقبها ووجه بيدرو قلق وهو ينتظر. وانفرجت شفتا خوليو متأوهاً من الألم، فتبعت باتريسيا غريزتها، وصعدت إلى الفراش لتستلقي إلى جانبه وقالت بهدوء:

ـ كلما نامارادو.. (إهدأ يا حبيبي).

وأمسكت رأسه بين يديها ووضعت فمها عن قصد على فمه.. وكانت

المرة الأولى التي تبادر فيها بتقبيل رجل في حياتها.

وللحظات همد خوليو وسكن. وقد لا يكون مستجيباً لها ولكنه على الأقل لم يكن يدفعها عنه.. وانحنت فوقه أكثر، وضغطت بصدرها على ذراعه المصابة.

وأحست بيبادرو يتقدم، فأغمضت عينيها، وعمقت قبلتها تمتم بأصوات لذيذة على فمه. وتمتمت وقد أحست بجسده يرتفع كالقوس من الألم.

- لا بأس يا حبيبي.. كل شيء سيكون على ما يرام.

ولاحظت بسخرية إنه الوعد الثاني الذي تقطعه خلال أربع وعشرين ساعة. وفي كلا المرتين كان وعد للحياة. وبالنسبة لأنابيلا تم الأمر بسلام.. فيا إلهي.. أرجوك.. أن ترفع الضيم عن خوليو أيضاً..

وملست شعره المبلل بالعرق؛

- كل شيء على ما يرام... ولكن أبقى هادئاً.. أرجوك. لأجلي..

واستطاعت سماع أنفاس بيدرو المحمومة وهو يعمل، وصوت مارغريتا المخنوق بالعبرات. وهي تتمتم بسيل لا ينقطع من الكلمات... ربما تكون صلاة.

وأمسكت بخوليو بقوة وأبقت فمها ملتصقاً به، تخفف من الآهات التي تصدر غصباً عنه، محاولة أن تنفخ بعضاً من حياتها إلى رئتيه.

وسمعت صوتاً يصدر عن بيدرو يدل على الانتصار، وأحست بجسد خوليو يرتخي بين ذراعيها. فرفعت رأسها لتنظر إليه وعيناها مغشيتان بالدموع وصاحت بجنون:

- لقد قتلته.. لقد مات!

- ناو سنيوريتا.. تقول مارغريتا أنك فعلت الكفاية... إرتاحي الآن.

- أريد أن أبقى معه.

- تقول مارغريتا أن سنيور يرتاح أيضاً.. تعطيه شراب خاص من الأعشاب.. يجعله ينام.. ولك.. أيضاً.

وأمسك أماندو يدها بحزم، ولكن باحترام، وساعدها للنزول عن السرير. وبطريقة ما وجدت نفسها في غرفتها.. ولكنها لم تستطع أن ترتاح. ولم تستطع منع أفكارها من الدوران.

لقد جاء بها القدر إلى هنا لتجده.. وبالتأكيد لن يكون هذا القدر دون رحمة لأن يأخذه منها. بعد أن أصبحت الآن مستعدة لأن تعترف ما يعني لها خوليو بالضبط.

كان النهار قد توضح عندما أفاقت في اليوم التالي، بعد أن هزتها يد مارغريتا. فجلست بسرعة.

- ما الأمر؟ سنيور؟

- سي..

وأحست برعب مؤلم وهي ترتدي رداءها بسرعة؛

- ماذا حدث؟ هل ساءت حاله؟

وهزت مارغريتا كتفيها غير فاهمة. ثم نزعت الروب منها مشيرة أن عليها أن ترتدي ثياب النهار...

- هل أنت مجنونة، إذا كان الأمر اضطرارياً فأي شيء يكفي.

وأحست بالغيظ ومارغريتا تناولها ثيابها ثم تعطيها فرشاة الشعر.. لا يمكن أن تصدق تصرفاتها.. قد يكون خوليو مريضاً جداً.. أو إنه سيموت.. وها هي تعارضها على ارتداء الملابس وترتيب شعرها؟

وما أن خرجت من غرفتها حتى وقفت مارغريتا ثانية تسد لها الطريق مشيرة إليها لتتبعها في الأتجاه الآخر، نحو غرفة الجلوس.

ـ ولكنني أريد الذهاب إلى السنيور.

ـ سي.. سنيور دي لاكروزا.. سي.

وهي لا تزال تمسك بذراعها، اندفعت مارغريتا بحديث متواصل، ثم فتحت باب «الصالا»، وتقريباً.. دفعت باتريسيا إلى الغرفة.

وواجهها، رجلان، كلاهما غريب، وللحظة جمدت.. تتساءل ما إذا كانا من البوليس، أتيا لأعتقالها لمساعدتها دايفد دودج. ثم وجدت أنهما يبتسمان. فرفعت رأسها وقالت:

ـ كوم أي أو سنيور؟ (أين السيد).

ونظرت إلى الأطول قامة من الأثنين:

ـ كوي كوير؟ (من أنت).

وتقدم منها الرجل، كان لباسه رسمي أكثر مما أعتادت أن تراه.. إنه يذكرها بشخص ما.. وانحنى لها قليلاً:

ـ سنيوريتا بالمر. هذا شرف لي.. إسمحي لي أن أقدم نفسي.. أنا رودريغو دي لاكروزا.

وفتحت فمها من الدهشة.. لا عجب إنه بدا لها مألوفاً... واستطاعت الآن أن تلاحظ الشبه.. ولكن، هو من بين كل الناس في الدنيا.. ماذا يفعل هنا؟

ـ كيف حالك.

وصافحته بأدب، وهي تنظر بقلق إلى الرجل الآخر. الذي كان دون شك أكبر عمراً.. فقال لها رودريغو:

ـ هذا الأب غوميز، الذي كنتم تتوقعون وصوله، كما أظن.

فشهقت، ففي خضم ما حدث نسيت أمر المركب الذي سيحضر الكاهن من سالتا.. وسألت:

ـ ألم يكن مفروضاً أن يصاحبه طبيب؟

ـ دكتور لورانزو مع أخي الآن.

وأحست بارتياح حقيقي بدا في ردها:

ـ هذا رائع. أنت تعرف بالطبع.. لا بد أنهم أخبروك ما حدث وكيف أصيب خوليو بالرصاص؟ أخشى أن تكون رحلتك دون فائدة يا أبتي!

ـ دي نادا سنيوريتا.. (لا بأس) أنا آسف لأن الزواج لن يتم الآن ولكنني سعيد لأنكم لم تحتاجوا إلي في شيء آخر.

وأطرقت برأسها إلى الأرض:

ـ لسنا متأكدين بعد.. بيدرو انتزع الرصاصة. ولقد نزف كثيراً من الدم.

وهز رودريغو دي لاكروزا برأسه وقال:

ـ أخي.. أنني ألوم نفسي. فلولاي.. لما كان هنا.. ولما حدث له هذا الشيء الفظيع.. كل ما أتمناه أن يغفر لي.

ونظر إليه الكاهن بحدة:

ـ رجل مثل خوليو لن يتأثر من رصاصة في كتفه أميغو... وسوف يعيش كي تضعا حداً لخصامكما.. أؤكد لك.

وتأوه رودريغو دي لاكروزا وقال:

ـ شكراً لله.

ـ كما يجب أن تقول في كل ساعة من كل يوم.. لا بد أن الدكتور لورانزو قد انتهى من فحص المريض.. وعلينا أن نزوره.. من بعد أذنك سنيوريتا.

ـ بالطبع.. أرجوكما أن تأتيا معي.

واستقبلتهما مارغريتا بوجه صارم، ولكنها ابتسمت لباتريسيا ورتبت

ذراعها، فسأل رودريغو بصوت منخفض:

- كيف حاله؟

فجاء الرد بالأنكليزية من الدكتور لورانزو.

- إنه بحاجة للراحة، والعناية، ومضادات الألتهاب التي أعطيتها له.. ولكن أهم من كل هذا الراحة، لذا أعطيته مسكناً قوياً...

فقال رودريغو:

- هل لي أن أكلمه؟ هناك الكثير أود قوله له

- وهناك وقت كبير أمامك لتقوله بدل الآن، لذا أختصر الحديث معه.

وتقدم رودريغو من السرير وقال بهدوء:

- خوليو.. لا عليك أن ترد. هز رأسك فقط.. الأمر حول ماريان. لقد ذهبت يا خوليو.. لقد أصبحت حرة. وأتيت لأخبرك هذا بنفسي.. ولأعوض لك، إذا كان ممكناً، عن الأخطاء التي ارتكبتها ضدك.

وأمسك بيد خوليو:

- لقد كنت على حق يا أخي.. لم تكن لي أبداً. هل تفهم ما أقوله لك؟

وساد الصمت في الغرفة والجميع يحدقون بالجسد المسجى فوق الفراش، ينتظرون.

ووضعت باتريسيا يدها على حنجرتها، فقد أحست فجأة بصعوبة التنفس ماريان عادت حرة... وربما ستعود إلى حبها الأول.. حرّة لأن تبقى معه إلى الأبد.

وكأنما أراد أن يرد على سؤالها الذي لم تطرحه... كذلك على كلام شقيقه، فتحرك رأس خوليو على الوسادة، بهزة رأس خفيفة ولكن مؤكدة.

الفصل العاشر

ولم يلاحظ أحد باتريسيا وهي تغادر الغرفة.

وسارت ببطء إلى غرفتها، وأغلقت الباب وراءها، واستندت إليه وبدأت ترتجف.

لقد انتهى كل شيء.. حتى قبل أن يبدأ. وعليها أن تواجه هذا... ويجب أن تتصرف بإباء وعزة نفس.

إنه لا يريد حبها.. فأكبر هدية له إذن أن تعطيه الحرية.. دون أي ارتباطات. وكل ما عليها أن تفعل أن تقبل بالواقع... وتذهب.

عليها أيضاً أن تعرف ما إذا كان ضيوفهم سيبقون أم سيعودون إلى سالتا على الفور. الأب غوميز من المؤكد أن يكون تواقاً للعودة إلى الأرسالية.. ولكنها ليست متأكدة من نوايا رودريغو لاكروزا.

وتمنت أن لا يرغب الضيوف في البقاء، كي تستطيع المغادرة معهم على المركب، كما اقترح عليها خوليو أصلاً. ومن الأفضل أن تذهب وهو لا يزال غير مكتمل الوعي لتوفر على نفسها الألم.

وسمعت قرعاً حاداً على الباب.

- من الطارق؟

www.rewity.com

ـ لورانزو سنيوريتا.. هل لي أن أدخل؟

الطبيب؟ وخفق قلبها وقالت وهي تفتح الباب:

ـ هل هناك شيء خاطيء.. هل سائت حال خوليو؟

ـ لا.. لا. لقد مر الوقت العصيب. وسيتحسن... لقد أتيت لرؤيتك. لقد بدوت وكأنك على وشك الأغماء، ففلقت عليك.

ـ لست من النوع الذي يفقد الوعي بسرعة.

ـ ولكن هذا لا يفسر شحوبك ولا الظلال تحت عينيك. هل أنت واثقة أن ليس هناك شيء تحتاجين لاستشارتي به؟

ـ لا.. لا شيء.. حقاً.

ـ آه.. لقد التقينا لتونا.. وربما بعد بضعة أيام ستثقين بي. سنلتقي عند العشاء.. وأتمنى أن تكون أخبار خوليو طيبة.

إذن فالحظ ليس إلى جانبها، فقد كشف العشاء أن الضيوف باقون لفترة غير معروفة، بما فيهم الأب غوميز. الذي فسر بقاءه بالرغبة في زيارة السكان المحليين..

ونظر إليها رودريغو معتذراً:

ـ أرجوا أن لا نزعجك، ولكن أنت تفهمين، فأنا وأخي لدينا حديث طويل بعد أن يشفى ويصبح قوياً لما يكفي.

ـ ومتى سيكون ذلك؟

فرد الدكتور لورانزو

ـ في وقت أقصر مما أرجوه... فخوليو لا يحب فكرة الخلود للراحة. حتى إنه تمنى لو انضم إلينا الآن للعشاء.

فابتسم رودريغو:

ـ هذه هي المعجزات التي يفعلها الحب.

بعد انتهاء القهوة. وقف الدكتور لورانزو قائلاً:

ـ سألقي نظرة على مريضي. ربما تحبين مرافقتي سنيوريتا...

وكان كلامه بلهجة الأمر أكثر من الطلب، فذهبت معه على مضض.

وقال لها وهما يسيران في الممر نحو غرفة خوليو:

ـ أنت لم تأكلي شيئاً. لقد راقبتك تقلبين الطعام فوق الصحن، وهذا ليس بالجيد.. وخاصة الآن.

ـ أنا.. فقط.. لم أكن جائعة.. ربما ردة فعل.

بعد صمت قصير تابع:

ـ ربما.. يمكنك الثقة بي.. أي شيء تقولينه سيبقى آمناً معي أعدك بهذا.

ـ إذن هناك شيء.. هل رأيت ماريا دي لاكروزا من قبل؟

ـ سي... ولماذا؟

ـ أود معرفة شكلها؟

ـ إذا كان هذا كل شيء، فالأمر بسيط.. لها وجه جميل وجسد رائع، شقراء، لونها برونزي ومن أميركا، وأسنان رائعة بيضاء. وماذا أقول بعد؟ إنها كنجمة سينما.. حلم كل رجل. ولا يمكن نسيانها بسرعة.

ـ لا.. لقد عرفت هذا.. شكراً لك.

وفتح الباب وأشار إليها لتتقدمه.. ولذهولها.. وجدت خوليو يقف عند النافذة.. وكان عاري الصدر ما عدا الرباط الذي يحمل ذراعه المصاب.. فقال الدكتور لورانزو بانزعاج:

ـ تطلب نصيحتي ثم تتجاهلها. لقد أمرتك بالراحة.

فرد عليه خوليو:

ـ لدي ثقب في كتفي.. ولقد ارتحت ما فيه الكفاية.. وعلي الآن أن أتابع حياتي.

- عليك تغيير ثيابك.. سأذهب لأعلم مارغريتا.

وخرج الدكتور مغلقاً الباب وراءه بلطف... وساد الصمت.. وأحست باتريسيا بحرارة الأحراج. وأخيراً قالت؛

- أنا آسفة.. لم تكن فكرتي المجيء إلى هنا.

- أعلم.. كانت فكرتي. علينا.. أن نتكلم.

- ليس ضرورياً.

- أعلم إنه ضروري.. فقد ظلمتك باتروسا.

- عما تتكلم؟

- عن دودج.. الأميركانو.. لقد ضربك، ودفعك من الشاحنة. كان يمكن أن يقتلك.. أنطونيو كان هنا وأخبرني كل شيء.

- اوه.. لقد كانت غلطتي.. من الغباء أن أقرر الذهاب معه... ولكنني كنت...

- يائسة؟

- أعتقد هذا.. كنت مضطرة.. وكان عليك أن تعرف.. إنني.. وأنت.. لن ننجح معاً.. مستحيل.. لكل أنواع الأسباب. والآن كل شيء أصبح أفضل.. للجميع.

- أتظنين هذا؟ أنت ورودريغو متفائلان أكثر مني.. فأنا أتوقع مشاكل كبيرة.

- ولكنك ستحصل على السعادة أخيراً فبعيداً.. عن اي شيء، لم يكن بإمكانك السعادة وأنت معزول عن عائلتك.

- صحيح.. ولكنني ما كنت أفضل مثل هذه الطريقة للعودة إليهم...

- ستخف مشاكلك كثيراً عندما أتركك. مع أنني لست أدري متى. فالأب غوميز لن يعود إلى سالتا قريباً.

- لست مضطرة لانتظاره.. سيأخذك بيدرو إلى سانتياغو ديلاستيرو وسيبقى معك إلى أن تلاقي مركباً.

- اوبريغادا.. شكراً.. أنت لطيف جداً.

- لا.. فكلانا يعرف الحقيقة «كويراداء وسوف أبقى ألعن نفسي لما تبقى من حياتي للطريقة التي عاملتك بها.. لقد أملت أن أعوض عليك، أن أعلمك بأن بإمكاني أن أكون لطيفاً.. ولكنني أرى الآن أن الأمر كله كان غباء.

- لا.. لا يهم الأمر بعد الآن.

- ولكنه مهم لي باتروسا.. ولن أحتمل أن تذهبي من هنا وأنت تكرهيني.

- أنا لا أكرهك.. لن أستطيع كرهك أبداً.

ومد يده إليها:

- تعالي إلى قربي للحظات.. بيرفاقور.

وتقدمت منه ببطء.. وصوت من داخلها يصيح بها.. لا يجب أن تفعلي هذا.. ولكن يا إلهي العزيز.. لا يمكن أن أمنع نفسي...!

ونظرت إليه بحزن.. وقالت:

- يجب أن أذهب.. الدكتور لورانزو سيعود إلى هنا قريباً. وأنت بحاجة للراحة...

- أمامي ما تبقى من حياتي لأرتاح. ولكن ليس أمامي سوى ساعات أمضيها معك «كارينا»... لقد قلت أشياء قاسية لك بالأمس.. وأنا نادم عليها. وأريد أن أعيد هذه لك الآن. دون شروط.. إنها لك.. فافعلي بها ما تشائين.

ولمعت الألماسة في ضوء القنديل وهو يثبتها حول رقبتها. وحاولت انتزاعها:

ـ لا خوليو.. لا. لا أستطيع أخذها.. وخاصة الآن. يجب أن تحتفظ بها.. لشخص آخر.

ـ لا.. الألماسة لك.. وستبقى دائماً.

ومرر أصابع ذراعه السليمة على رقبتها ثم رفع ذقنها إليه ولمس فمها المصاب:

ـ ذلك الحيوان فعل بك هذا؟

وهزت رأسها بصمت، وقد تسمرت في مكانها لقربه منها، وتلفظ بكلمة سريعة متوحشة ثم قال:

ـ هل تؤلمك؟

ـ أحياناً..

ـ عندما قبلتني ليلة أمس مثلاً؟

فتصاعد دم الخجل إلى وجهها:

ـ قليلاً.. أجل.

ـ أيتها المسكينة. وهل سأسبب لك الألم الآن لو قبلتك قبلة الوداع؟

وفكرت بألم.. أجل.. ولكن ليس بسبب الضربة. وحاولت!

ـ لا تفعل.. أرجوك.

ـ ولكنك قلت لي أنك لا تكرهيني.

ـ لا أكرهك.. صدقني.. ولكن هذا لا يعطيك الحق في تقبيلي. فأنت ملك لأمرأة أخرى.. فدعني أذهب.. أرجوك.

ـ أنا ملك لك.. ولكنك لا تريديني.

وبدت عليه المرارة.. فصاحت دون تفكير:

ـ هذا ليس صحيحاً.

ـ ما الأمر إذن؟ هل هو المكان؟ لا يجب علينا أن نعيش فيه، إذا كنت

لا تحبينه.. فلدي أملاك غيره، ليست بعيدة عن المدنية وبإمكانك أن تختاري كواريدا.. ولكن لا تتركيني.

ـ وماذا علي أن أفعل؟ هل أشارك ماريان بك؟ لا أستطيع ولن أفعل.

ـ ماريان؟ وما دخل تلك العاهرة بنا؟

ـ أنت تحبها.

ـ كنت مغرماً بها إلى أن تزوجت رودريغو.. وهل تعلمين لماذا تزوجته؟ لأنها ظنت إنه أكبر أولاد العائلة وسيرث كل الأملاك والأموال.

ـ ألهذا تخلت عنك؟ لا بد أنك مخطيء. لا يمكن أن تفعل هذا.

ـ لقد قالت لي ذلك بفمها. وأعلنت عن أسفها إنما بما أن رودريغو هو الأكبر فهو «اللقطة» الأفضل. مع إنه لن يكون الزوج المثير لها.

ـ ولكن لو كانت تحبك...

ـ الحب لا شأن له هنا. فهناك أمران في حياة ماريان المتعة.. والمال. وهي مستعدة لاستخدام المتعة في سبيل الحصول على المال. ولكن الجشع ضللها.. فعندما مات أبي ترك كل شيء مقسماً بيني وبين رودريغو وشقيقتنا. كما هي العادات. وكانت صدمة كبيرة لها، لتكتشف أنها ضحت بنفسها لرجل لا تريده دون أي مقابل.

ـ ألم تحذرها أن الأمور ستكون هكذا؟

ـ بالطبع لا.. لم تكن تستاهل، ومرتزقة، وتستحق السخرية. لقد حاولت تحذير رودريغو.. ولكنه كان مجنوناً بحبها ورفض أن يستمع. لقد كان دائماً ضعيفاً وخجولاً مع النساء، ولا خبرة له... ولقد عصفت به ماريان وأطارت له عقله.

ـ ولكنها أطارت عقلك أيضاً. لقد قلت لي هذا بنفسك.

وحرك كتفه المصاب بقلق:

ـ في الماضي أجل.. أعترف.. أنها إمرأة مثيرة. ولكنني فيما بعد رأيت كل عيوبها وحل مكان الإثارة، الأزدراء.

ـ ولكنك لا زلت تريدها؟

ـ وما يجعلك تقولين هذا؟ ما هي القصص التي سمعتيها؟

فاحمر وجهها لحدة كلماته وقالت:

ـ سمعت أنك حتى وهي متزوجة من أخيك، كنت تريدها.. وهو اكتشف الأمر. وشاهدكما معاً.

ـ آه أجل.. هذا صحيح ولكن ليس أكثر. فعودتنا معاً كعاشقين كان فكرتها.. كنت قد تركت المنزل لمدة، ولكن كان علي العودة لأناقش أمر وصية والدي.. فدخلت إلى غرفتي وعرضت نفسها. وكانت قد سئمت من رودريغو.. وعندما رفضت نعتتني بأبشع النعوت، ثم مزقت ثيابها وأخذت تصرخ. فدخل رودريغو ووالدتي، فقالت إنني أغويتها لنكون لوحدنا ثم حاولت اغتصابها.

وتأوه قليلاً.. ثم تابع:

ـ وجن جنون رودريغو من الغيرة والغضب، وحاولت التفاهم معه، ولكن دون جدوى.. ولذا عدت إلى هنا، وأنا أعلم أنه يوماً ما سوف يكتشف حقيقتها، وها هي قد تركته الآن، وهربت مع رجل آخر. مليونير بترول، كما عرفت وأتمنى له الحظ السعيد معها.

ـ ولكنك قلت أنك التقيت بالمرأة التي ستحبها طوال حياتك، ولكنها لا تريدك.

ـ لم أكن أتكلم عنها «كارينا».. كنت أعنيك أنت.

وأمسك وجهها بيده فقالت باضطرات:

ـ لا.. لا يمكن هذا.

ـ ولماذا لا؟

وجهه.. صوته.. كانا صارمان.

ـ ألن تصدقي بأنني وجدت الحب الحقيقي؟ ولأنني ارتكبت غلطة مع ماريان يجب أن أدان بالوحدة إلى الأبد؟

ـ ولكنك لا تحبني.. لا يمكن.. حتى أنني لست جميلة.

ـ بل أنت جميلة.. لقد أدخلت اللطف والرحمة إلى بيتي وإلى حياتي.

ـ ولكنك لا تعرفني.

وهز خوليو رأسه:

ـ أتظنين أن الحب لا يمكن أن يحصل في وقت قصير؟ أنت مخطئة «كارينا».. أظن أنني أعرفك منذ وقت طويل. وانتظرك منذ وقت طويل. وكنت آمل أن تشعري يوماً ما بنفس مشاعري. ولكنني أظن الأمر مستحيل.. فقد حدثت أشياء لا يمكنك الثقة بي بعدها. ولا ألومك.. على كل أنت لم تتظاهري أبداً بشيء من الأهتمام تجاهي. ولك حياتك في بلادك.

ونظرت إليه بحزن، وقلبها يكاد يقفز من عينيها

ـ إن لي وجود وكينونة.

ـ ماذا تحاولين القول؟

أقول.. إنه بالحب يمكن لكل شيء أن يكون ممكناً.. حتى في وقت قصير.

فقال بصوت كله حنان.

ـ هل تحبيني حقاً؟

وجنت نبضات قلبها ورفعت رأسها إليه:

ـ أكثر من حياتي.. أريد البقاء معك خوليو.. أريد أن أكون زوجتك.

ـ لطالما حلمت بهذا.. وبسماعك تقولين هذه الكلمات.. ليلة بعد

ليلة في هـذا الفراش الملعـون.. لوحـدي، قـولي لي أنني لست أحلم الآن.

ولأول مرة بدا دون دفاع، ومعرض للعطب، وخفق قلبها بحنان جوابي وابتهاج. ودخلت دائرة ذراعه المصابـة.. ورفعت له وجههـا.. وسألتـه بلطف:

ـ وهل سيقنعك هذا؟

وتلامست شفتاهما.. ولم يعودا يستطيعان الكلام.. وعندمـا ابتعدا، مسح خوليو شعرها، وهو يضحك باضطراب.

ـ عروستي.. حبي.. كيف قاومتني؟

ـ كنت أقاوم نفسي.. كما أظن.

ـ وهل حل السلام بيننا الآن؟

وابتسمت له، بحب، وقالت مداعبة:

ـ اوه.. ستكون هناك معارك قادمة... دون شك.. فأنت مستبد بما فيه الكفاية.

ـ ومع ذلك فأنت مستعدة للمخاطرة معي؟

ـ سأخاطر بأي شيء.

وأراحت وجهها على صدره، وهي تعلم أن كل الأمان والسـلامة التي يمكن للدنيا أن توفرها لها موجودة بين ذراعيه وهمست:

ـ كل يوم مغامرة جديدة.

ومدت رأسها لتقبله من جديد تبتسم له وتفكر بـالطفـل. أول مغامـرة رائعة لهما في حياتهما معاً قد بدأت.

وبرزت السعادة في صوتها.

ـ حبيبي... هناك شيء أريد أن أخبرك به...

سلاسل سوڤنير الجميلة

Souvenir beautiful series

روماسيات ناتالي Natalie Romance

الناشر:
دار الراتب - سوڤنير

سلسلة حديثة لأروع القصص والروايات العاطفية،
بأسلوب شيق وأحداث ومغامرات مثيرة... للشباب.

- العاصفة في قلبها
- دوامة الذكريات
- المطاردة العنيفة
- الغريب الغامض
- الحالمة أبداً
- حب في الأدغال
- هل يعود الحب
- الأرملة العاشقة
- آدم وحواء
- أشواك المرأة
- الخيانة الزوجية
- الحب وقيوده
- حب أم واجب
- لا تتركني أبداً (الوجه الآخر)
- لا وقت للحب
- رقم الحظ

تطلب من:

بيروت: وكالة المطبوعات اللبنانية
القاهرة: هلابوك شوب
عمان: مكتبة الراتب
دبي: مكتبة دار
أبو ظبي: مكتبة
الشارقة: مكتبة دار

مسقط: دار الأسرة - سلطنة عُمان
الدار البيضاء: دار الآفاق الجديدة
سوريا: المؤسسة السورية لتوزيع المطبوعات
الكويت: وكالة المطبوعات
قطر: مكتبة المعارف